وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحيى فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

صورة اليهودي في رواية " زمن الخيول البيضاء " لإبراهيم نصر الله أنموذجا

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتان:
- بشرى زياني
- سهيلة دحماني

إشراف الأستاذة:
- فاطمة الزهراء عقال

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/علي برادي	**رئيسا**
أ.د/ بن علي بن زعتر	**مناقشا**
أ.د/ فاطمة الزهراء عقال	**مشرفة ومقررة**

السنة الجامعية : 2024/2023


بسم الله الرحمن الرحيم

شـــــكـــــر وعـــــرفـــــــان

قال تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

فالحمد لله والشكر لله عز وجل أولا وقبل كل شيء على تيسيره

وتوفيقه لنا في إتمام هذا العمل

يسعدنا أن نرفع أسمى كلمات الشكر والعرفان إلى أستاذتنا المشرفة "د / عقال

فاطمة الزهراء " التي تكرمت بقبول الإشراف على موضوعنا، وإسدائه

التوجيهات التي أخرجت البحث في أحسن حللهجعل الله هذا العمل في ميزان حسناتها وجعلها في خدمة العلم ورمزعطاء لطلبة اللغة والأدب

كما لا ننسى أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور الفاضل برادي علي على إفادتنا ومساعدتنا دون هوادة منه لإتمام هذه الرسالة

و شكر موصول إلى كل أساتذة كلية الأدب و اللغات و إلى كل من كان له الفضل في إعانتنا على انجاز هذا العمل.

(وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

الحمد لله الذي ما تم جهد ولا ختم سعي إلا بفضله.

و ما تخطيت هذه العقبات و الصعوبات إلا بتوفيقه،

تخرجت ليس بجهدي و لا باجتهادي

و إنما بتوفيق من ربي.

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها، إلى من سهلت لي الشدائد بدعائها، داعمتي الأولى الأبدية أمي،أهديك هذا الانجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود، ممتنة لان الله قد اصطفاك لي من البشر أما حفظك الله ورعاك و أدام وجودك قربي.

إلى من دعمني بلا حدود و أعطاني بلا مقابل و بذل جهد السنين من اجل أن اعتلي

سلالم النجاح أبي الغالي، حفظك الله و رعاك و أدام وجودك قربي.

إلى من علمني موتها أن الدنيا كفاح و اللقاء بالجنة بإذن الله

جدتي الحبيبة التي كانت ملهمة نجاحي التي رحلت قبل أن تراني أحقق أحلامي

دعواتكم إلى من كنت أرجو أن أنال شرف النجاح بجانبها.

إلى عائلتي و كل من شجعني و لو بكلمة.

إلى من تذكرني بقوتي و تقف خلفي كظلي من كانت سندا لي طوال هذه السنوات صديقتي سانية.

إلى رفيقة دربي ، من واصلت دعمي و تشجيعي طيلة هذا المشوار، من ساندتني بكل حب عند ضعفي صديقتي سهيلة .

إلى رفاق الروح اللذين شاركوني هذا الطريق شجعوني وقفوا بجانبي كلما أوشكت أن أتعثر(شمس،علية،ياسمين،شروق،جميلة،كوثر).

بشرى

الإهداء

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون لم يكن الحلم قريبا، ولا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات لكنني فعلتها، فالحمد لله الذي يسر البدايات وبلغنا النهايات

الحمد الله حبا وشكرا وامتنانا على البدء و الختام.

الى من علمني أن النجاح لا يأتي إلا بالصبر و الإصرار، الى من دعمني بلا حدود و أعطاني بلا مقابل ، داعمي الأول في مسيرتي الى من أحمل اسمه بكل فخر قوتي و ملاذي بعد الله : **أبي العزيز.**

الى قدوتي الأولى و معنى الحب و التفاني... الى بسمة الحياة و سر الوجود الى من كان دعاءها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي... الى من أرشدتني و رافقتني في كل مشاوير حياتي و لا تزال تفعل الى الآن: **أمي الحبيبة.**

الى حبيبات القلب و نور عيني أخواتي، من رزقت بهم سندا و ملاذي الأول و الأخير: **مريم، أسماء، جمانة.**

الى من مدت يدها في أوقات الضعف و راهنت على نجاحي أختي التي لم تلدها أمي و رفيقتي في هذا الدرب التي سعت معي لإتمام هذه المسيرة : **بشرى.**

و لا أنسى رفقاء الروح الذين شاركوني خطوات هذا الطريق

الى من شجعوني على المثابرة و إكمال المسيرة و رفقاء السنين ممتنة لكم: **سانية، شمس، زهرة، كوثر، علية، شروق، إكرام، نسرين، ياسمين.**

فجزاكم الله خير وأثابكم خير الجزاء.

سهلية

مقدمة

مقدمة :

تعد الرواية في الأدب العربي والمعاصر الفن الأدبي الأقدر على التعبير عن هموم الإنسان المعاصر ومعالجة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية المركبة والمعقدة "وهي انطباع شخصي مباشر عن الحياة، أو هي قصة خيالية نثرية طويلة".فهي بذلك تتناول قضايا معاصرة وتعكس التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع العربي، تتفرع الرواية آخذة أكثر من نوع وأكثر من تسمية فنجد الرواية العاطفية (الرومانسية) والرواية البوليسية والسياسية وروايات الخيال العلمي والرواية التاريخية وغيرها من مسميات الرواية.

تعتبر الرواية التاريخية من أهم الأنواع الروائية التي تأخذنا في رحلة عبر الزمن إلى الماضي، حيث يتم استكشاف الأحداث والشخصيات التاريخية بطريقة مشوقة ومفصلة تعطينا هذه الروايات فرصة لفهم الثقافات والأحداث التي شكلت عالمنا اليوم، والرواية التاريخية في الوطن العربي كان لها دور كبير للتعريف بثقافة الشعوب وتاريخهم، فبرز العديد من الروائيين الذين أسهموا في ذلك أمثال واسيني الأعرج في الجزائر وبن سالم حميش في المغرب، اللذان اتخذا من الرواية التاريخية عنصرا مهما للتعريف بالبلدان والشعوب العربية الإسلامية، كما أنّ جورجي زيدان فصّل في ذلك مطولاً معرفاً بدور الرواية التاريخية. والرواية الفلسطينية عملت بدورها على كشف تاريخ وثقافة فلسطين أرضاً وشعباً، فكان لزاماً على أغلب الروائيين الفلسطينيين تسليط الضوء على قصص الشعب الفلسطيني وعكس التحديات والصراعات التي واجهوها على مر العصور، لأنّ الكلام عن هذه البلد المباركة وهذا الشعب المناضل أصبح واجباً وطنياً لكل كاتب فلسطيني.

ولعل من بين أهم الروائيين العرب اللذين كتبوا عن فلسطين وتاريخها إبراهيم نصر الله، الكاتب الفلسطيني المعروف والمؤلف الموهوب الذي كتب العديد من الروايات المؤثرة التي

كشفت تجارب الشعب الفلسطيني وصراعاتهم، ومن بين أعماله الشهيرة مشروعه الروائي الضخم "الملهاة الفلسطينية ".

رواية زمن الخيول البيضاء هي رواية ضمن سلسلة الملهاة الفلسطينية صدرت طبعتها الأولى عام 2007م، صور فيها إبراهيم نصر الله جزءا من تاريخ فلسطين الذي يمتد من أواخر العهد العثماني حتى احتلال فلسطين عام 1948م.

عمل إبراهيم نصر الله في إنجاز عمله هذا على جمع شهادات شفوية من مجموعة شهود أخرجوا من وطنهم وعاشوا تلك الأحداث وفي ذلك يقول :" أنجزت العمل على جمع الشهادات الشفوية الطويلة، التي أفادت منها (زمن الخيول البيضاء) بشكل خاص بين عامي 1985م و 1986م ، حيث قدم فيها عدد من الشهود اللذين أُقتلعوا من وطنهم وعاشوا في المنافي، شهاداتهم الحية عن تفاصيل حياتهم التي عاشوها في فلسطين والعرب وهذا ما أكدّ عليه الكاتب في ختام الرواية.

وقد صوّر الأدباء شخصية اليهودي في رواياتهم من خلال الاحتكاك الذي حدث بين الفلسطينيين والشعوب التي لجئوا إليها خاصة بعد الكارثة التي حدثت في عام 1948م. كما أنّ العديد من الباحثين توسعوا في وصف اليهود والحديث عنهم من بينهم الباحث المصري عبد الوهاب المسيري صاحب المجموعة الضخمة من الكتب حول اليهود مثل "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"، "تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وأزمته"، "من هم اليهود؟ وماهية اليهودية؟ أسئلة الهوية"، وغيرها من مقالات تحدثت عن اليهود.

ويعتبر إبراهيم نصر الله من الأدباء اللذين كتبوا في هذا أيضا وصوروا اليهودي في رواياتهم، ولهذا جاءت الدراسة موسومة ب**"صورة اليهودي في رواية زمن الخيول البيضاء لإبراهيم نصر الله أنموذجاً"**، ولعل اختيارنا لهذا الموضوع راجع لعدة أسباب ودوافع أهمها:

أولاً ميولنا ورغبتنا في دراسة هذا الموضوع،الأحداث التي وقعت مؤخرا في فلسطين وما فعله اليهود لهم، عاطفتنا للشعب الفلسطيني دفعتنا للخوض في هذا المجال ومعرفة أكثر عن القضية الفلسطينية التي تبيّن لنا من خلال هذه الدراسة أننا كنّا نجهل الكثير عنها، فهناك أمور وأحداث كثيرة شابها الغموض لسنوات طويلة، وهذا راجع لقلة الدراسات المتخصصة في شأن صورة اليهودي في الرواية العربية والرواية الفلسطينية.

وقد دفعتنا هذه الدراسة إلى صياغة إشكالية تمثلت في:

- كيف صور إبراهيم نصر الله اليهودي في روايته زمن الخيول البيضاء ؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية :

1-مكانة اليهود في العالم تاريخيا؟

2-كيف تجلت صورة اليهودي في الأدب العالمي؟

3-كيف صور إبراهيم نصر الله الفلسطيني المغلوب عن أمره أمام الآخر اليهودي المحتل؟

ولا شك أن كل بحث يحتاج إلى خطة تشد بنيانه ولهذا جاءت خطة بحثنا كالتالي:

مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة. ففي المدخل تطرقنا إلى مفهوم الصورة ومفهوم الأنا والآخر، أما عن الفصل الأول فقد جاء معنون ب: صورة اليهودي في الأدب العربي والغربي، احتوى على مبحثين، الأول كان بعنوان: صورة اليهودي عند العرب، وأما المبحث الثاني فحمل عنوان: صورة اليهودي عند الغرب، وفيما يتعلق بالفصل الثاني جاء بعنوان: صورة اليهودي في رواية زمن الخيول البيضاء، تطرقنا فيه إلى قراءة في رواية زمن الخيول البيضاء، وقد احتوى بدوره على ثلاثة مباحث، الأول بعنوان: ما قبل النكبة، والثاني جاء بعنوان: خيانة القيادات العربية لفلسطين، أما الثالث فعنوناه ب: أحداث النكبة 1948 لنستخلص في الأخير منها صورة اليهودي، وأنهينا بحثنا بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

واعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب لهذه الدراسة.

كما زودنا بحثنا بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدناها في إعداد هذا البحث :

- إبراهيم نصر الله " زمن الخيول البيضاء " ، وبعض المراجع الأخرى المتمثلة في :
- وليم كار اليهود وراء كل جريمة.
- جابر عصفور الصورة الفنية في التراث التقليدي والبلاغي عند العرب.
- عفيف عبد الفتاح اليهود في القرآن الكريم .
- عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء إنجازنا لهذا البحث من بينها : قلة المصادر والدراسات والمراجع المتخصصة في الموضوع المختار وهذه النقطة تضع الباحث في ضيق بسبب نقص الخيارات المتاحة غير أن هذه الصعوبات كانت بمثابة الحافز الإيجابي لنا للمضي قدما في البحث. كان بإمكاننا أن نتوسع في الكثير من الأمور خاصة وأننا اكتشفنا وإن كان متأخرا أعمال الباحث عبد الوهاب المسيري والتي يصعب الحصول عليها، كما أنّ الوقت لم يحالفنا لتناول أعمال مهمة جدا قد تفيد الدراسة، فاكتفينا ببعض المراجع المهمة التي ساعدتنا لانجاز هذه الدراسة ولأننا ملزمون بعدد معين من الصفحات لا يمكننا التوسع أكثر فيها.

لا ننسى أن نقدم الشكر والعرفان لأستاذتنا المشرفة عقال فاطمة الزهراء التي لم تبخل علينا في تقديم النصح والإرشاد.

خلاصة القول أننا أنهينا الدراسة بعد بذل ما استطعنا من جهد إلا أن أعمال البشر لابد أن يشوبها نقصان فإن أصبنا فبتوفيق من الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا، والله ولي التوفيق.

مدخل :

مفهوم الصورة، مفهوم الأنا، مفهوم الأخر

لا يكاد ينفصل مصطلح (الصورة) عن إشاراته المتعددة الدالة على صعوبة تحديده في شكل مفهوم جامع لكل أنواع الصور ومانع لغيرها مما لا يدخل في حيزه، ولذلك يعد مصطلح الصورة من أكثر المفاهيم الأدبية والنقدية دورانا واستعمالاً في النقد الأدبي ومع ذلك لا يقف عند مرفأ معني يُهدِّأ من حركة ترحاله بين الاتجاهات والحركات النقدية والأدبية، ولعل صعوبة تحديد مفهوم الصورة أمر يشترك فيه مع غيره من المصطلحات النقدية غير المستقرة في بعض الأحيان .

أولا –مفهوم الصورة :

1– لغة :

جاء في لسان العرب " لابن منظور" في مادة (ص، و، ر) مفهوم الصورة هي: تصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي، التصاوير التماثيل وفي الحديث : أتاني الليلة ربي في أحسن صورة " قال ابن الأثير " الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته يقال الصورة الفعل كذا وكذا أي هيئته"[1].

ويرى ابن فارس أن معنى الصورة هي " صورة كل مخلوق والجمع صورة وهي خلقته"[2].

أما في معجم الوسيط نجد أن الصورة هي " الشكل والتمثال المجسم.." والصورة المسألة أو الأمر يقال، هكذا على ثلاث صور، وصورة الشيء ماهيته المجردة وخياله في الذهن والعقل.[1]

[1]– أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور، لسان العرب،،ج 11، مادة (ص،و،ر) دار صادر، بيروت لبنان، ط 3، 1994، ص 304.

[2]– أحمد بن فارس، معجم مقياس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، المجلد،3 ، دار الجبل، بيوت لبنان، ط 1، ص 320.

2- اصطلاحا :

عرفها عبد القادر القط بقوله : " الصورة في الشكل الفني الذي تتخذ الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما بطاقات اللغة وإمكانياتها في الدلالة والتركيب والإيقاع، والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيره في وسائل التعبير الفني"[2] .

ويرى جابر عصفور" أن الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير أو أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، لكن إن كانت هذه الخصوصية أن ذلك التأثير فإن الصورة لا تغير من طبيعة المعني في ذاته إنها لا تغير من طريقة عرضه وكيفية تقديمه [3].

وقد عرفها سعيد علوش " بأنها تمثيل بصري لموضوع ما والصورة للخيال المحض وهي بذلك تبدع اللغة وتعارض المجاز، الذي لا يخرج اللغة عن دورها الاستعمالي "[4].

---

[1]- ينظر إبراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، مصر، 1423هـ 2004 م، ص 528.

[2]_ عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، ط1، 1988، ص 391.

[3]- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط 3، بيروت 1992، ص 14.

[4]- سعيد علوش ،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة سوشبريس، الدار البيضاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1985 م، ص 136.

ثانيا-الأنا والآخر:

مصطلح " الأنا و الآخر " يرتبط ارتباطا وثيقا بالفلسفة وعلم النفس، ويستخدم الدلالة على الفارق بين الهوية الشخصية " الأنا " وتجارب التفاعل مع الآخرين " الأخر ".

فالعلاقة بينهما تعتبر علاقة واعية حين " أن إدراك الآخر هو إدراك الذات وإدراكه كما هو وليس كما يريدوا إن تصوره وفهمه يطرح الآليات الصحيحة للتعامل معه "[1] .

-مفهوم الأنا :

1- لغة :

وردت لفظة " الأنا " في لسان العرب على لسان الجوهري بقوله : " وأما قولهم أنا فهو اسم مكنا هو للمتكلم وحدة، وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين التي هي من حرف ناهب للفعل والألف الأخيرة أنما هي لبيان الحركة في الوقف "[2].

كما وردت لفظة "أنا" في القرآن الكريم تسعا وتسعين مرة في قول الله عز وجل : " أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب "[3]

[1]_عالية زروقي، صورة الأخر في الرواية الجزائرية، من سنة 1950 م إلى 2010 م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، 2017، ص 17-18.

[2]_ابن المنظور الإفريقي، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف،ج 1 ج 3 د ت،ص 160 مادة " أننا – أني ".

[3]_ السيد عمر، الأنا والأخر من المنظور القرآني تر : أبو الفضل، ونادية محمود مصطفى، دار الفكر ط 1 ، 2008 ص 134.

كما جاءت أيضا عدة تعريفات " للأنا " على أنها : " ضمير متكلم الواحد وهو تعبير عن النفس الواعية لذاتها، والأنا هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية "[1] .

2- اصطلاحا:

مصطلح " الأنا " من المصطلحات التي يصعب تعريفها لأن البحث فيها دقيق ومتشعب، ومن صعوباتها أننا نعرف أنفسنا أكثر بكثير مما نعرف حول الآخرين أو مفاهيم ذوات الآخرين .

فالأنا هو " الذات التي ترد إلينا أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية وهو دائما واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسر فصله عن أعراضه ويقابل الغير والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين والمسؤولية ".[2]

ويقصد بالأنا أنها ضمير مستقل ومنعزل عن الآخر وتختلف عنه بالضرورة شكلا ومضمونا.

[1] – مراد وهبة : المعجم الفلسفي دار قباء الحديثة القاهرة، ط 5، 2007م، ص 95.

[2] _ إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1983 م، ص 23.

_ الأنا فلسفيا :

إن الأنا من منظور فلاسفة العرب هي : " إشارة إلى النفس المدركة أما في الفلسفة الحديثة تشير كلمة أنا في معناها النفسي والأخلاقي إلى الشعور الفردي الواقعي،والى ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه الشخص المفكر"[1] .

وللأنا في الفلسفة الحديثة عدة معاني منها المعنى النفسي والأخلاقي حيث " تشير كلمة " " الأنا " في الفلسفة التجريبية إلى الشعور الفردي الواقعي، فهي تطلق على موجود إذا تنسب إليه جميع الأحوال الشعورية " [2] .

أما في المعنى الوجودي "تدل كلمة " أنا "على جوهر حقيقي ثابت يحمل أعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معا أو متعاقبة فهو إذن مفارق للإحساسات والعواطف والأفكار لا يتبدل بتبدلها ولا يتغير بتغيرها"[3].

[1] _ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني،ج1، بيروت، لبنان، 1986 م، ص 140 .

[2] _ المرجع نفسه، ص 140.

[3] _ المرجع نفسه، ص 141.

المعنى المنطقي :

تدل كلمة " أنا " على المدرك من حيث أن وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنها التركيب المختلف في الحدس وارتباط التصورات التي في الذهن[1] .

الأنا نفسيا :

في علم النفس :" شعور بالوجود الذاتي المستمر والمتطور بالاتصال مع العالم الخارجي... وهي حلقة الاتصال بين النزعات الغزيزة ومثيرات العالم الخارجي "[2] .

فمن صفات الأنا الوعي، ومن مهامها التنسيق والتنظيم بين ما هو داخلي وخارجي، فهي تنتمي لمجتمع معين تتواصل ضمنه وتكون في حالة تفاعل دائمة مع أفراده، فهي مدركة لكل ما حولها عاملة بكيفية التصرف ومراعية نظام المجتمع .

ويعتبر أول من كانت له الصدارة في الحديث عن الأنا هو الفيلسوف " سيغموند فرويد " في اكتشاف الحقيقة الهامة وهي أن جزءا كبيرا من حياتنا العقلية لا شعوري، وإن لهذا الجزء اللاشعوري من حياتنا العقلية.

[1] _ المرجع السابق، ص 141.

[2] _ إبراهيم الشبلي : الذات و الآخر في الرواية، السورية، دار الفضاءات للنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، 1439 هـ/ 2018 م، ص 15.

تأثيرا كبيرا على سلوكنا ومشاعرنا سواء في حياتنا السوية أو فيما نتعرض له من اضطرابات وأمراض نفسية "[1] .

الأنا عند علماء النفس ترتبط بالشخصية الإنسانية، " سيغموند فرويد " في تقسيمه للجهاز النفسي يرى أنّ الشخصية الإنسانية مكونة من ثلاثة أنظمة (الهو والأنا والأنا الأعلى) مع محاولة قدر الإمكان تلبية بعض الرغبات الباطنية دون المساس بالقيم الدينية والأخلاق والعادات و تقاليد المجتمع الذي يكون ذو سيطرة وأثر على الأنا.

كما أن مركز التفكير والشعور هي الأنا تتشكل من مجموعة من السمات وتتشكل بها شخصية كل إنسان، فأغلب التعاريف التي قدمت " الأنا " تصب ضمن مجرى واحد يتبن من خلالها الوعي والإدراك الذي تحمله، وهي الواجهة الأولى للتعريف بهوية الفرد وأفكاره.

[1] _ سيغموند فرويد ، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط 4،ص 12.

مفهوم الآخر :

1-لغة :

جاء في قاموس المحيط : الأخر بفتح الخاء بمعنى غير والجمع بالواو والنون و أخر .[1]

ووردت كلمة الأخر في لسان العرب بمعنى : " أنه أحد الشيئين وهو اسم على أفعل والأنثى الأخرى، والآخر معنى الغير،إلا أن في معنى الصفة لأن أفعل من كذا ولا يكون في الصفة، كقولك رجل آخر وقول آخر واصله أفعل من التأخر، فلما " جمعت همزتان في حرف واحد استثقلنا فأبدلت الثانية ألفا لسكونها وانفتاحا لأولى قبلها وتصغير " آخر" أو خير " و الجمع آخرون و يقال هذا آخر وهذه أخرى في التذكير والتأنيث" [2] .

فالآخر يشير إلى الشخص أو الكائن الذي ليس جزءا من الذات أما في معجم الصحاح يقصد به أحد الشيئين، و هو اسم على أفعل والأنثى أخرى إلى أن فيه معنى الصفة، لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة " [3] .

كما وردت لفظة الأخر في القرآن الكريم في عدة مواضع, فقد وردت بصيغة الجمع في قوله تعالى : " وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افتراه و أعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزورًا "[4]

---

[1] _ الفيروز أبادي : القاموس المحيط، الهيئة العامة المكاتب، أدب، ج 1، ط 3، 1980 م، ص 360.

[2] _ ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت لبنان، ج 1، ط 1 2000م ص 1.

[3] _ ابن نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح، التاج اللغة وصحاح العربية،دار الحديث، د.ط مصر، 2009 م، ص 29.

[4] _ سورة الفرقان، الآية 04.

2-اصطلاحا :

يعد مفهوم الأخر من أكثر المفاهيم حضورا في الكتابات المعاصرة حيث أصبح قضية مركزية في جل الدراسات السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية والنقدية والمؤتمرات و الندوات والملتقيات في معظم مناطق العالم على حد سواء " [1] ففي مفهومه الفلسفي عرفه أرسطو بأنه: " الأخر المستبعد هو والغريب الذي يتمكن من استخدام وفهم اللغة المشتركة ".[2]

أما جون بول سارتر فيقول :(الغير هو الآخر) أي أن الأنا ليس إياي فنحن ندرك هنا إذن سلبا بوصفه بنية مكونة لوجود الغير هو من ليس إياي ومن ليست أنا إياه.[3]

ويقول أيضا : " هو الشعور ولكن منظور إليه من حيث علاقته بالشعورات الأخرى أي من وجهة النظر الاجتماعية والوجود مع الآخرين، هو التخارج الثالث للوجود لذاته وهو بعد جديد للوجود فيه يوجد الأنا أو الذات خارجا كموضوع بالنسبة إلى الآخرين ".[4]

---

[1]_ طارق زياد محمد، الأخر مفهوما ثقافيا في الدراسات الثقافية، مجلة الباحث، المجلد، العدد 1، 2021 م ص 95.

[2]_ طاهر لبيب، صورة الأخر العربي ناظرا ومنظورا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1999 م، ص 54.

[3]_ جون بول سارتر : الوجود والعدم بحث في الانطولوجيا الظاهرتية، ت، عبد الرحمان بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط 1، أغسطس 1966 م، ص 5 .

[4]_ المرجع نفسه، ص ن .

وعند كانط يعتبر الآخر : آخر الكائن العاقل، أنا غير محتاج أن أسمعه لكي أعرف بما أدين به إليه [1] .

أما عن مفهوم الأخر النفسي فيقتضي أن نشير في البداية إلى مفهومه عند " سيغموند فرويد " والذي يأخذ برأي " جورج جردوك " والذي بدوره لم يتعب من الإشارة إلى أن سلوك " الأنا " سلبي في جميع مراحل حياتنا وأننا نعيش كما يقول مدفوعين بقوى غير معروفة ولا يمكن إخضاعنا لسلطانها [2] .

وهو " حقيقة موجودة في داخل كل منا يملأه الوجود هو مائل في البصر والبصيرة مائل في سماع والاستماع مائل في الداخل والخارج مائل في الحقيقة والحلم."[3]

ويرى جان لاكان أن المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالأخر فالطفل حيث يرى صورا في المرآة فإنه لا يزال يستبدل صورة الأخر هذا بنوع الأنا " ولكنه تدريجيا يدرك أن الصورة محض صورة خارجية بالنسبة للذات ... وتتحول الصورة إلى علاقة للأنا، وهذه هي مرحلة نظام الرمز " صورة في المرآة رمز دال أو علاقة تشير إلى الأنا " [4] .

---

[1] _ سيليفيان أغاسانسكي : نقد المركزية، حدث آخر، تر: منذر عياشي، دار نينوي للدراسات و النشر و التوزيع، د ط، 2014 م، ص 17.

[2] _ سيغموند فرويد، الأنا والهو، تر محمد عثمان نجاتي، دار الشروق،القاهرة، ط 4، 1993 م، ص 40.

[3] _ سعد سامي محمد، الأنا والآخر في المعلقات العشر، رسالة ماجستير في الأدب العربي، ط 4، 1993م، ص 40.

[4] _ المرجع نفسه، ص 4 .

وعن مفهوم صورة الآخر فيرى شعيب حليفي على أنها تظهر دوما مرتبطة بالأنا ضمن فعالية جدلية لا تقبل الخطأ، فهو يدخل في علاقة مع الأنا استأثرت بأهم الصور الروائية المشكلة لسجل غني يمثل العلاقات المحمومة أو المتوترة التي تبعث عن الالتحام، والتوافق أو تصور الخراب لهذه الشخصيات[1].

[1] شعيب حليفي: هوية العلاقات في العتبات و بناء التأويل، دار الثقافة،المغرب 2005 م، ص 73.

الفصل الأول : صورة اليهودي عند العرب والغرب

المبحث الأول: :صورة اليهودي عند العرب

المبحث الثاني: صورة اليهودي عند الغرب

المبحث الأول : صورة اليهودي عند العرب :

يسعى الإنسان إلى معرفة ذاته وما يميزها عن غيرها، ولأن الأشياء تعرف بأضدادها فلقد أولى أهمية قصوى لمعرفة الأخر، فبمعرفة الأخر نعرف ذواتنا، ولأن الإنسان العربي يعيش في محيط مضطرب تتداخل فيه الثقافات والأيديولوجيات والمعتقدات، فهو في رحلة بحث دائمة لاكتشاف ذاته، ويتم هذا عبر دراسة صورة الآخر التي تنعكس في الأعمال الأدبية المجسدة لعلاقة الفرد العربي بالآخر، فتساهم في تكوين الذات، كما تأسس للوعي القومي والثقافي والمحلي ولقد شكل وجود اليهودي في البلاد العربية حالة استثنائية لدى المبدعين في زمامنا المعاصر، وبعد حضورهم في الرواية العربية المعاصرة أحد أبرز القضايا التي ظهرت في الساحة الأدبية، ولا يمكن للفن الأدبي أن يتجاوزها ويرجع هذا الحضور إلى كون اليهود يشكلون جزءا من النسيج الاجتماعي والثقافي في المنطقة العربية[1] .

إن الدين الإسلامي يدعو إلى التعايش والتماسك في طوائف المجتمع والتفاهم معهم و احترام الغير مهما كانت ديانته أو أصوله لقوله عز وجل : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجكم من دياركم إن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "[2].

[1]- نذير بيبي وزهرة باريش، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة، رواية " الخلان " لأمينة الزاوي، أ نموذجا، مجلة المدونة، المجلد 10، العدد 01 ماي 2023 ،ص 1405.
[2]- سورة الممتحنة الآية 8.

كما يدعونا أيضا إلى عدم إلحاق الأذى أو الإساءة ولا يحب على التنوع الديني أن يكون نقطة ضعف الشعوب أو سببا للعداوة، بل يجب أن يكون نقطة للتآلف والتكامل لأن الله سبحانه وتعالى أولى في جميع ما أنزله وبعثه لعباده من أول الأنبياء أبينا أدم عليه السلام إلى خاتمهم وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، على طاعة الله خالق الكون والإيمان بجميع رسله وكتبه وجعل الله عز وجل لعبده حرية الاختيار لدينه: لقوله تعالى " لكم دينكم ولي ديني ".[1]

وقد أكد نبينا وصحبه بعده احترام النفس الإنسانية ومراعاة كرامتها، ففي الخبر أن سهل بن حنيف وقيس بن سعد كانا قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما فقيل له: إنها جنازة اليهودي؟ فقال : " أليس نفسا " [2] .

وبناءا على ما تقدم فإن الإنسان يختار ما يشاء من المعتقد " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " والله يتولى في الآخرة حسابه".[3]

لأن الإسلام كفل للجميع الحق بالحياة والعيش بكرامة، دون الالتفات إلى ديانة الإنسان أو عرقه أو لونه أو منشئه أو أصله.

لقوله تعالى : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ ۟ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا " [4] .

إلا أن غالبية العرب يتفقون أن اليهودي من شر خلق الله تعالى، وأنه يتصف بكل الصفات السيئة، فاليهودي يعرف بأنه سيء الأدب غدار مخادع، أناني، ظالم حاسد، متكبر مفسد،ومن صفاتهم الشهيرة أكلهم الربا وقد نهوا عنه والكذب وقتلهم للأنبياء بغير حق فهم أشد عداوة للذين آمنوا والقرآن والسنة النبوية حافلان في إثبات ذلك لقوله تعالى " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ

[1]- نجلاء سبتي، جهينة بابوري، صورة اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة, أربعون عاما في انتظار إيزابيل، السعيد خطيبي أنموذجا،مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص أدب جزائري، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2022/2021 ،ص 21.

[2]- منقذ بن محمود السقار، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، رابطة العالم الإسلامي، ط1، مكة المكرمة،2007، ص 13.

[3]- ن . م / ص 13.

[4]- سورة الإسراء الآية 70.

عَدَٰوَةَ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ۖ "[1]، وقوله عز وجل : " وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ " [2] .

ولاشك أن الاحتلال الصهيوني لفلسطين زاد في شدة كره العرب لهم وزاد في شدة العداوة بين العرب واليهود، وقد ذابت الدراسات النقدية على رصد تغيير ملحوظ في صورة اليهود في الأدب العربي منذ حرب فلسطين، والاحتلال الإسرائيلي الصهيوني للأرض المقدسة سنة 1948م، حيث اختفت وتراجعت الصورة التقليدية لليهودي المخادع أو الخائن أو المرابي أو المحب للمال، وكانت تختفي كذلك صورة الفتاة اليهودية المتمردة المدللة، العانية الغارقة في الجنس المتمرد على التقاليد وتزايدت أمام المشاهد أو القارئ صورة الصهيوني الإسرائيلي القاتل العدواني[3] .

والشعوب العربية و الإسلامية تعي وتدرك العديد من الحقائق :

أن التاريخ يعيد نفسه، وأن الصهاينة الذين كانوا وراء الأحداث التي أدت إلى اشتعال نيران الحرب العالمية الأولى ثم الحرب العالمية الثانية.... هم الذين يقفون الآن وراء انقسام العالم معسكرات متصارعة تمهيدا للحرب العالمية الثالثة، حرب مدمرة لا تبقي و لا تذر... و أن البشرية ستظل مهددة طالما بقية رؤوس الشر، أبناء الصهيون تخطط دون كلل لاستكمال السيطرة على العالم !.[4]

وأن خطط الصهاينة المتآمرين على العرب والمسلمين تكاد تكون هي ذاتها على مر العصور: التعزيز بالجماهير تغذية الأحقاد، إشعال نار الفتن، تدمير المجتمعات القائمة على الأديان السماوية بنشر الإلحاد والفساد والانحلال الخلقي ...[5]

---

[1]- سورة المائدة الآية 82.
[2]- سورة ص الآية 45.
[3]- محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهود في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية مغايرة، ص 71.
[4]- ويليام كارا، اليهود وراء كل جريمة، تر، خير الله الطفاح، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1982م، ص 06.
[5]- ن.م، ص 06.

وإن قضية فلسطين اليوم هي سبب العداء بين العرب واليهود،وهاهو التاريخ يعيد نفسه، فما حصل في بدء الإسلام يتكرر اليوم وهاهو اليهود في جميع أنحاء العالم يقومون بحملة ضد العرب والمسلمين ابتغاء سلبهم فلسطين وغير فلسطين، إنهم يشوهون كل ما يمت لهم بصلة ويمنعون الغرب أن يمد لنا يد الصداقة المخلصة، لقد سلطوا أجهزة الإعلام في العالم الغربي للنيل من كرامتنا، وحين نرى ذلك كل نقول صدق الله العظيم حين قال : " لتجدن أشد الناس عداوة للذين أمنوا، اليهود و الذين أشركوا "[1]،

هذه الآية تدل وبوضوح على أن جميع الكفار أعداء للمؤمنين لكن اليهود أشدهم عداوة، وقد كثر ذكر اليهود في القرآن الكريم وهذه حكمة الاهية هدفها تحذير المؤمنين من مكايدهم و حيلهم و كشف شبهاتهم، وغضب الله عليهم كان بسبب تخليهم عن أمر الله تعالى فكانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوه، حتى أنهم حاولوا قتل عيسى عليه السلام ودبروا له لقتله لكن الله أحبط مكرهم ونجاهم من الموت، وقد ذكرت كلمة "إسرائيل" في القرآن الكريم 42 مرة وكلمة "اليهود" 9 مرات،ومن اليهود من وصف الله تعالى بصفات دنيئة لقوله تعالى :

" وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ "[2]

وقالوا كذلك : " قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ "[3]

وبذلك فإنهم تطاولوا على أنبياء الله عليهم السلام ,وكذا على الله سبحانه و تعالى ولهذا جعلهم الله تعالى أذلاء مهانين لقوله: " ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ ۭ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ ۭ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ ۭ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ "[4].

[1]- عفيف عبد الفتاح طيارة، اليهود في القرآن الكريم، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط 10
[2]- سورة المائدة آية 64.
[3]- سورة آل عمران، آية 181.
[4]- سورة آل عمران، أية 112.

ويعتبر أول عمل أدبي عربي في العصر الحديث يقدم لنا صورة اليهودي البشعة هو: قصيدة طويلة لأحمد فارس الشدياق (1804 – 1887) نظمها عام 1932م، وجاءت بعنوان " لم القرود في ذم اليهود " وهي قصيدة لم تنشر من قبل وإنما هي محفوظة في مكتبة جامعة كمبردج بحر الوافر وأهم ما تمتاز به هذه القصيدة أن ألفاظها من الألفاظ الجنسية الفاحشة التي تخدش الحياء مما حال دون نشرها كاملا.[1]وتطرد هذه الصورة المنكرة لليهود في الرواية العربية حتى قبل بزوغ عنف الحركة الصهيونية سنة 1948م، فنجد مثلا في رواية " الوارث " التي صدرت عام 1970م، للفلسطيني خليل بيدس كثيرا من الشخصيات اليهودية التي تحمل سمات سلبية، مثل شخصية الغانية أستير الفتاة اللعوب التي تلجأ إلى الحيلة والمكر والمتاجرة بالجسد، من أجل الحصول على المال، فهي تستدرج عزيز الحلبي بطل الرواية وحين يقع في حبالها تبتزه ثم تنتقل إلى آخر إلى أن يقتلها أحد ضحاياها ويشاركها في هذه الأساليب معظم الشخصيات اليهودية في الرواية [2] .

ونجد العديد من الروايات التي صورت اليهودي ذو النزعة الصهيونية صورة بشعة من بينها :النصوص الروائية لناصر الدين النشاشين " حفنة الرمال " 1962 م "، حبات البرتقال "1964 م حيث تبدو الصورة البشعة لليهود ذوي النزعة الصهيونية الذين يهدفون إلى إقامة وطن قومي على حساب الشعب الفلسطيني.[3]

ونجد كذا رواية " حارة اليهود أو دم لفطير صهيون " للروائي نجيب الكيلاني التي توثق حادثة عرفتها حارات دمشق القديمة، وتصور عقيدة اليهود الفاسدة وادعاءاتهم بأنهم شعب الله المختار، وبأنهم هم فوق كل شيء يحق لهم فعل أي شيء حتى بسفك الدماء، فتروي هذه الرواية تفاصيل حادثة واقعية التي هي جريمة راح ضحيتنا رجل دين مسيحي " الأب توما "، رجل صالح محترم يخدم الجميع باختلاف دياناتهم استدرجه اليهود وقاموا بقتله بأمر من

[1]- محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهود في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية، مغايرة ص 67.
[2]- ن، م، ن، ص.
[3]- محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية مغايرة، مجلة رسالة المشرق، العدد 2، المجلد 34، القاهرة ،2019م، ص 68 .

رجال الدين للحصول على دمه لكي يستخدموه في شعوذاتهم أو كما يسمونها هم طقوس يهودية قصة صعبة التصديق ومؤلمة لكنها تفضح عقيدة اليهود الباطلة.

نذكر كذلك علاقة حب بين مسيحي عربي ويهودية عربية في الرواية حسين أبو النجا في كتابه " اليهودي في الرواية الفلسطينية " 2002م، تناول المرأة اليهودية في الوارث وأدرجها تحت عنوان " الغانية " إنها ليست المرأة التي تحب لأجل الحب، بل تحب لأجل المال فقط ولا تكترث للشخص الذي تقيم معه علاقة، حين يقع في ورطة أو ضائقة.[1]

وقد مثل الكاتب إحسان عبد القدوس صورة المرأة اليهودية في روايته " لا تتركوني هنا وحدي، " تحكي هذه الرواية عن حياة امرأة مصرية يهودية اعتنقت الإسلام، فقط من أجل الزواج من رجل مسلم لكي تستطيع أن ترثه، فيصف إحسان عبد القدوس كيف تعاملت هذه المرأة مع المجتمع وتصرفاتها وتفكيرها لاستغلال كل من حولها لكي تحقق مصالحها الشخصية وأهدافها وما تريد تحقيقه، بالفعل استطاعت أن تحقق ما تسعى إليه لكنها لم تستطع الحفاظ على أولادها.

وكذا رواية " أحمد وداود " للروائي الكبير فتحي غانم، التي تبين صورة تعامل اليهود مع عرب القدس بالقوة والعنف والتعسف في فترة العشرينات والثلاثينات حتى عام 1948م، فترة الاستيطان والاحتلال الصهيوني للقدس.

ونذكر رواية " أربعون عاما في انتظار إيزابيل للكاتب " سعيد خطيبي " التي استطاعت أن ترصدنا رؤية الآخر اليهودي " جوزيف" للأنا المسلم الجزائري [2].

[1]- عادل الأسطة، الأدب الفلسطيني حتى عام 1948، (الحب في ظل الحرب)، المرأة اليهودية محبوبة في نماذج من الأدب الفلسطيني، ص5.

[2]- نجلاء سبتي وجهنية بابوري، صورة اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" سعيد خطيبي أنموذجا، ص 38.

وكذا صور لنا " سعيد خطيبي " في روايته موقف المسلم الجزائري تجاه اليهودي الفرنسي " جوزيف " [1]، حيث تحكي الرواية بالمختصر عن الفرنسي " جوزيف " الذي ترك وطنه وجاء ليستقر في الجزائر، واعتنق الإسلام وهو غير مقتنع بذلك فقضى أربعين عاما في صحراء الجزائر بوسعادة، يعثر على كتابات أو مذكرات إيزابيل يعجب بها ويتعلق بها ويقارن حياته بحياتها، ذلك لأنها مرت بنفس التجربة، إلى أن بلغ السبعين قرر الرجوع إلى فرنسا.

ولابد أن نعلم علاقة المسلم باليهودي هي عبارة عن جدل قائم منذ الأزل ولربما تعود جذوره إلى زمن بداية الخلق على وجه هذه المعمورة فالخلفيات الفكرية والتاريخية والاجتماعية و النفسية كلها تدين لليهود ليس بوصف اليهودية دينا ولكن لأن اليهود كانوا دوما هم الأعداء على امتداد التاريخ، بل كانوا لأشد عداوة، ولهذا فلا يجب أن تتعجب من شعور المسلم و نظرته السلبية، وردة فعله تجاه اليهودي.. وهذا ما أبرزته الرواية من خلال نظرة سكان مدينة " بوسعادة " إلى جوزيف فقد تجسد موقفهم منه في الرفض والنفي والمعارضة.

فهم لم يرو شخصية " جوزيف " اليهودية إلا اختزالا للشر ولكل المساوئ ولم يكترثوا العيشة بينهم بل عاش مهمشا إذ يقول: " يعتبرونني قاصرا.. يتركوني في الصف الثاني " [2]

فأهل الحي الذي يسكن فيه جوزيف يرون أن : العلاقة من جانبه ليس لها هدف، حيث يصعب عليهم تصور أن لا علاقة إنسانية صادقة يمكن أن تنشأ مع اليهود الذين هم الأعداء للمسلمين ولدينهم[3] .

ومن الأدبان الذين كتبوا علاقة بين العرب و يهوديات في نصوص ما قبل العام 1948 هم : خليل بيدسفاي في روايته " الوارث 1920م ومحمد عزة دروزة في نصه المسرحي

[1]- نجلاء سبتي وجهنية بابوري، صورة اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" سعيد خطيبي أنموذجا، ص 34.

[2]- نجلاء سبتي وجهنية بابوري، صورة اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة،أربعون عاما في انتظار ايزابيل، السعيد خطيبي، أنموذجا، ص 36

[3]- ن.م. ص 37 .

"الملاك و المسمار" 1935م وبرهان الدين العبوشي في مسرحيته " الوطن الشهيد " 1946م ونجاتي صدقي في قصته " أيام من العمر " و " العابث " كتب بيدس روايتة، وكان زمانها الروائي ما بين 1914م و 1918م وكانت أحداثها تجري في مصر وهي تتحدث عن "أستير" حيث يجري هذا الشاب الشامي الثري وراءها هي التي لا تلتفت إليه قدر التفاته إلى أمواله عدا أنها تقيم علاقات مع آخرين غيره [1] .

والآداب الفلسطينية مملوءة بالقضية الفلسطينية، نذكر من بينها الملهاة الفلسطينية للشاعر والكاتب إبراهيم نصر الله التي تعتبر ملحمة " روائية درامية وتاريخية " ارخ فيها تاريخ فلسطين منذ الحكم العثماني لغاية 2005م، والتي لم ينشرها بترتيبها الزمني .

كان المشروع مدفوعا في البداية بهدف أن لا تنسى الأجيال القادمة من الفلسطينية أو العالم الكيفية التي احتل بها الصهاينة أرض فلسطين وطردوا أهلها منها، وتجرد مباشر على قول " ديفيد بن جورين " مؤسس دولة الاحتلال ورئيسا وزرائها الأسبق " سيموت كبارهم وينسى صغارهم " انطلق الشاب الثلاثيني حينها –نصر الله – في جمع شهادات عائلته وأصدقائهم ورفقائهم من سكان مخيم الوحدات بالأردن، حيث كانوا يحيون منذ عقود بعد خروجهم من فلسطين في أعقاب النكبة[2] .

بدأ عام 1985م كمشرع رواية واحدة هي " زمن الخيول البيضاء " حيث جاب نصر الله في الملهاة مراحل متتالية و واسعة من تاريخ فلسطين بداية من سقوط الإمبراطورية العثمانية في " قناديل ملك الجليل" ووضع اليد البريطاني على أراضيها في " زمن الخيول البيضاء " ثم وعد بلفور فالنكبة و النكسة وحرب الأيام الست و إلى آخره من اتفاقيات أرسلوا والهبات (الانتفاضات) الفلسطينية و الشتات الذي لم تخل منه أي من روايات

[1]- عادل الأسطا، الأدب الفلسطيني حتى 1948م " الحب في ضل الحرب المرأة اليهودية محبوبة في الأدب الفلسطيني، ص 5.

[2] هند عبد الحميد، الملهاة الفلسطينية، رحلة نصر الله في دروب النكبة العربية، الجزيرة نت، أفريل 2020م، www.aljazeera.net

الملهاة، أعاد نصر الله في كتابه مائتين وخمسين عاما تقريبا من تاريخ فلسطين الحديث، الرسمي والغير رسمي مانحا ملهاته عن استحقاق وصف "الإلياذة الفلسطينية "[1] .

ومن خلال كل ما سبق نستخلص أن صورة اليهودي عند العرب كانت ومازالت و ستظل صورة سيئة، فاليهودي معروف منذ القدم بالظلم والحسد والكبر وقسوة القلب وأكل أموال الناس بالباطل والتعدي، والكذب والأنانية والشرك بالله والقتل، وهذا ما أكده القرآن والسنة النبوية، ولا يزال اليهود إلى يومنا هذا مواصلون في أفعالهم الشنعاء، وما وصل إليه العرب اليوم من تراجع وتدهور في شتى المجالات لليهود دور كبير فيه.

وما بيدنا نحن اليوم كعرب سوى الدعاء بأن يشتت الله شملهم ويقذف جمعهم وينصر المسلمين في أرض فلسطين.

[1]- هند عبد الحميد، الملهاة الفلسطينية، رحلة نصر الله في دروب النكبة العربية، الجزيرة نت، أفريل2020.www.aljazeera.net

المبحث الثاني : صورة اليهود عند الغرب :

في الأدب العالمي تجسدت صفة اليهودي في أنه مهووس بالمال جشع إلى درجة مهينة وغير أخلاقي بل وقاتل في نهاية الأمر.

ولقد اختلفت نظرة اليهود للغربي قديما وحديثا، فهناك من أعترف بأفعالهم وصفاتهم السيئة، وهناك من أيدهم وقدم لهم الدعم ومن بين أبرز الأمثلة عن الذين اعترفوا بصفات اليهود السيئة نذكر الأديب والشاعر الإنجليزي " شكسبير" ظهرت مسرحية شكسبير الشهيرة "تاجر البندقية" التي قدمت لليهودي صورة منفرة جشعة فضة محبة للمال، حاقدة قاسية مرابية كارهة للأخر" [1] .

تتجسد صورة اليهودي عند الأديب والشاعر شكسبير أنه يكره الناس كرها شديدا، ويحب المال حبا جما، فاليهودي يرى الناس كلهم أعداء له، ذلك أن جميع الديانات السماوية تحرم الربا وهذا اليهودي يحب المال كثيرا ويريد أن يقرض الناس بفوائد كثيرة حتى يزداد ماله أكثر ويصبح ذلك أكبر الأغنياء والأثرياء في العالم كله .

فالمال هو عصبة الحياة ومن يتحكم فيه يتحكم في رقاب الناس، وهذا ما نلاحظه بوضوح وجلاء عندما يقول عن المسرحي الغربي " أنطونيو" مناجيا نفسه أو هو بذلك يكشف عن نفسيته الشريرة التي تنم عن الأحقاد الدفينة بين اليهود والمسيحيين على لسان شكسبير :" يبدو كأنه دليل فكم أكرهه ! وإني لأمعن في كراهيته لكونه يقرض أموال للناس بكثرة ومن دون فائدة الأمر الذي جعل نسبة الفائدة تتدنى في البندقية، فلو استطعت الإيقاع به لشفيت غليلي منه تجاه أحقادي الدفينة، فهو يبغض عنصرنا المقدس ويتحكم علي حتى موضع احتشاد التجار، ويقول بأن ما جمعته من مال بيدي وتعبي إنما هو حامل عن طريق الربا لعن الله عنصرنا أنا سامحته على ذلك القول "[2] .

[1]- سيد أحمد متولي، صورة اليهود في الرواية العربية المعاصرة رؤية سردية مغايرة، ص 66.
[2]- مومني عبد العالي، صورة اليهودي عند الشاعر الإنجليزي الكبير وليام شكسبير، ثانوية بوروايج قالمة، 2010 م .

كما نقل عن اليهود أنهم : " يحبون المال حبا جما منذ القدم إلى يومنا هذا يسهون دائما إلى كسب المال حتى يكون اليهود أغنى أغنياء العالم، ومن هنا يسيطروا فعلا على كل منا في الحياة السياسية والإعلامية والتجارية فتغلقوا في دواليب الحكم عند الغرب والعرب على السواء، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وقيام الدولة العبرية على أرض فلسطين، فلمال هو عصب الحياة كما هو معروف يوجه اليهود من خلاله كثير من سياسات في العالم ابتداء من أمريكا وبريطانيا مرورا بألمانيا وإيطاليا وروسيا وانتهاء بفرنسا والغرب عموما ". [1]

وكذلك كان الشأن في الأدب الروسي فقد صور اليهودي على أنه شخصية شريرة يغلب عليها حب السيطرة والجشع والتعالي والعيش على الربا والتجارة والاعتماد على الأساطير و مثال ذلك " قصة اليهودي " للايفان تورغنيف" و" المسألة اليهودية " لتولستوي وقصة " كمان روتشيلد " لتشيخوف .

بل إنه حتى في الأعمال الأدبية الروسية النادرة التي تقدم صورة لليهودي الطيب مثل شخصية " جيد " في رواية تاراس بوليا " لجوجول ورواية " بومشاتين " ورواية " منزل الموتى " لدوستوفيسكي نجد اليهودي أقرب إلى البهلوان غير خال من النقاط الشائعة عن اليهود كحب المال والميل إلى استغلالا لآخرين.[2]

إذ كان هذا الأخير الأكثر فهما لواقع شعبه الروسي وأخلاقه وأكد بأن الشعب الروسي لم تكن له أي كراهية مسبقة لليهود بالرغم من سماع عكس هذا من اليهود، وقيل عن دوستوفيسكي بأنه " كاره لليهود " فليهودي الموجود كأقلية في روسيا هو من يتعامل بفوقية مع سكان البلاد وأصحابها الأصليين أي شعب الروسي السلافي ويبتعد عنه ولا يقاسمه شيء حتى الجلوس إلى الطعام في المعتقل[3] .

وهكذا نجد دائما اليهود يشكلون دائما نشازا في مناخ الحياة العامة في البيئة التي يحلون بها... ولو كانت هذه البيئة سجنا، ففي الوقت الذي يكون الناس فيه محاصرين بالجوع و الفقر

[1] - المرجع نفسه .

[2]- سيد أحمد متولي، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية المغايرة، ص66.

[3]- جورج كعدي، دوستوفيسكي والإشكالية السلافية اليهودية، في أصول الغويتمية، 17 سبتمبر 2022 ضفة ثالثة.

والخصاصة ترى اليهود وحدهم يتنغمون .... وفي الوقت الذي يغنم فيه الناس و يحزنون تراهم وحدهم كذلك فرحين مسرورين شامتين ... وهذا النشاز يعطيهم فرصة للانتهازية والاستقلال والإقطاع والتسلح.."[1] .

كما نرى انه وردت الكثير من الشخصيات اليهودية في كتابات وروايات دوستوفيسكي وظهر ذلك خصوصا في روايته "بيت الموتى " وهذه رواية يصف فيها دوستوفيسكي تجربته مع سجين يهودي يقيم كل الشعائر دينه بحرص شديد .

واليهود حسب رأي دوستوفيسكي يوجدون في كل مكان، فهم يوجدون داخل التشكيل الاستعماري الغربي ويهيمنون على الرأس مالية الغربية وهم بطبيعة الحال موجودون في كل حركات الاشتراكية والثورية والفوضوية والعدمية .

وقد جعل اليهود همهم إفساد الشعب الروسي إذ كانوا يقومون ببيع الكحول لهم وبالشرب من عرقهم ودمهم .[2]

ويرى كذلك " أنه حتى لو أعطيت لليهود حقوقهم كاملة فإنهم لن يتنازلوا قط عن أن يكونوا دولة داخل دولة و هو يفعلون ذلك لأن مصالحهم مستقلة عن مصالح المجتمعات التي يعيشون في كنفها أنه يرى أن هناك مؤامرة يهودية عالمية عبر التاريخ لخدمة المصالح اليهودية المستقلة و للدفاع عنها " [3].

كان اليهود يطالبون بحقوقهم في الدول التي يقيمون فيها، ويدعون أنهم يعذبون وأنهم مهانون بالرغم من أنهم يتمتعون بكل الحرية وحصلوا على ما يحصل عليه أي مواطن أصلي داخل دولته، ولكنهم يطالبون بما هو أكثر من حقهم.

---

[1]- عبد القادر عبار، صورة اليهودي في الأدب الروسي، جامع الكتب الإسلامية، المجلد 1.

[2]- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، بيروت، ط 1 ،1999م ،ص 382.

[3]- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، بيروت، ط 1 ،1999م ص 383.

فإن الجميع يرون أن حقهم في اختيار مكان الإقامة توسع توسعا كبيرا في العشرين عاما منصرفة، لقد ظهر اليهود على كل حال في روسيا في المناطق التي لم يرهم فيها أحد من قبل، ومع ذلك فإن اليهود مازالوا يواصلون شكواهم من الحقد والاضطهاد، يكشف ما أوضحه دوستوفيسكي أننا أمام مرض استعماري وتمدد سرطاني لا يريد التوقف مرض يطالب بأشياء من سياق المجتمع .. هذا من مضامين كتاب " ماركس " المسألة اليهودية الذي كتب في عام 1843م،و نشر في 1844م وقد يتساءل "ماركس" في عجب كيف يطالب اليهود بتحسين أوضاعهم بدلا من دعم المجتمع الذي يعيشون فيه [1] .

كما بالنسبة لليهود الألمان يطالبون بالتحرر كمواطنين، يجيبهم برونو باور في كتابه مسألة اليهود :" ليس ثمة من هو متحرر سياسيا في ألمانيا نحن أنفسنا لسنا أحرار، فكيف نستطيع تحريركم ؟

[1]- أدباء عالميون ضد الإطماع " الإسرائيلية "، صحيفة الخليج 2018.

أنتم اليهود أنانيون حين تطالبون لأنفسهم كيهود بانعتاق خاص، عليكم أن تعملوا كألمان من أجل إنعتاق ألمانيا السياسي وكثير من أجل الإنعتاق البشري " [1].

يعتبر " مارتن لوثر " من بين الأدباء الألمان الذين تحدثوا عن اليهود وأعماله تركت على تأثير على إتباعه حتى بعد وفاته، حيث أعمال لوثر الرئيسية عن اليهود نحو 60000مقالة جمعها في كتاب عن اليهود وأكاذيبهم، يقول لوثر عن اليهود " اليهود لم يعودوا شعب الله المختار وأنهم أناس الشيطان، ودعى إلى حرق الكنس اليهودية وتدمير منازلهم ومنع الحاخامات من الوضع والاستيلاء على أملاكهم ووصفهم بأنهم " الديدان السامة " التي يجب أن تعمل أو تطرد إلى الأبد وبين أنه من الخط العدم قتلهم " [2] .

وكذلك من بين أعمال مارتن لوثر كتابه " نفاق اليهود " The Jews And their lies الذي نقله إلى العربية الأستاذ المؤرخ " عجاج نويهض " يتحدث هذا الكتاب عن عقدة عانى منها الغرب والشرق عنوانها " اليهود " عمل مارتن على كشف أسرار اليهود الذي أطلقوا على مشكلتهم مسميات أخرى من" اضطهاد اليهود " وهو إبادة اليهود لكي يوصلوا فكرة للعالم بأن اليهودي مضطهد وهو الذي عان من سلوك الأمم والشعوب حيث مارتن في كتابه عمل على كشف فساد اليهودي وسلوك شخصيته محذرا، ومقدما للحلول التي يراها مناسبة للتعامل معهم حيث وصف لوثر ما أصاب اليهود من شتات وسوء أخلاق وحقد على المجتمعات التي يعيشوا فيها نابع من عقد وموروثات سببها " إن ما حل باليهود هو غضب الله تعالى ولو كانوا شعب الله المختار لما أصابهم ما أصابهم ".[3]

وما نلاحظه من اليهود أنهم كانوا مضطهدون في جميع أنحاء العالم ومن أغلب الشعوب التي عاشوا بينهم، والأوربيون كانوا ولازالوا بالنسبة كبيرة لا يرتاحوا لليهود حيث كانوا يرونهم الجنس المفسد في الأرض، وعرفوا بالفساد في روسيا وذكروا حتى في " الروايات الروسية " عن خبثهم وطمعهم ودائما ما نقرأ في الأعمال الأدبية عن شخص فاسد ذهب

---

[1]- كارل ماكس، حول المسألة اليهودية، تر: نائلة صالحي، منشورات الجمل، ط1 ،كولونيا، ألمانيا 2003م، ص7 .

[2]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مارتن لوثر، www/wikipidia.org

[3]- مارتن لوثر، نفاق اليهود تر،عجاج نويهض، دار الفكر المعاصر، 1974 م، ص 82 .

ليشارك رأس ماله مع تاجر يهودي والكثير من الأمور والقصص المعروفة وهذه من الأسباب التي جعلت العالم يبغضهم وبعد كل أعمالهم لا زالوا يفسدون ويرتكبون مالا يعد و لا يحصى من الجرائم من قتل واغتصاب، وسلب الأراضي بشعب لم يرتكب بحقهم ذنبا .

ونرى أن " الكراهية من اليهود أو ما يعرف بالمعاداة السامية في أوروبا لم تظهر في عهد أدولف هتلر بل تعود إلى العصور القديمة " [1].

حيث أول من أطلق مصطلح معاداة السامية هو الصحفي الألماني " فليهم مارتن" في عام 1879م، لوصف الكراهية أو العداء لليهود ومع ذلك تاريخ كراهية اليهود يعود إلى أبعد من ذلك بكثير .[2]

وفي مطلع القرن الثامن عشر بدأت صورة اليهودي في الأدب والواقع الإنجليزي تتغير تماما عن صورة اليهودي الجشع والمستغل إلى صورة اليهودي الإنسان المعني الطيب الذي يمكن أن يساهم في حل المشكلات الاقتصادية بثروته ففي رواية " هارنغتون " لمارتا اد جورث ينقذ اليهودي الإنجليزي من أزمة المالية ودزرائلي الذي وصل إلى رئاسة وزارة بريطانيا مرتين، قدم صورة لليهودي الإيجابي في كتابه والحياة وعالم المال وفي روايته ألوري جاء موضوعها بوضوح عن النضال من أجل إقامة كيان يهودي في فلسطين وإعادة بناء الهيكل. [3].

ثم جاءت جورج إليوت امرأة رائدة ذات مكانة وشخصية ثقافية فاصلة لديها رواية موضوعها الأساسي قضية اليهود حيث كتبت " أننا نحن الذين نشأنا على المسيحية مدينون لليهود بشكل خاص أنهم (أي المسيحي لا يعرفون أن المسيح كان يهوديا)[4] .

---

[1]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة مارتن لوثر www.wikipedia.org .
[2]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة مارتن لوثر www.wikipedia.org .
[3] - ممدوح عدوان، تهويد المعرفة، دار ممدوح عدوان لنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سوريا 2007م، ص 15/14.
[4]- م.ن ص 17.

في أواخر القرن التاسع عشر ظهر ما يسمى بالصهيونية حركة سياسية يهودية ساهمت بشكل أو بأخر في عمله التسويق للهجرة لفلسطين المحتلة، يمكننا تصنيف ما بعض الكتابات تحت ما يسمى الأدب الصهيوني، وهي الكتابات التي تنظمن خطط وشروحات للفكر الصهيوني الواضح بمعزل عن أي انتماء قومي دني حضاري أو لغوي تماما كما ينطبق على رواية " جورج إليوت " دانيل دروندا" فالكتابة المسيحية واللغة الإنجليزية لكن المضمون هو فكر صهيوني [1] .

وهناك من انتقد هذه الحركة ويرى أنها إيديولوجية استعمارية وهناك من أيدها بحيث يرى أنصار الصهيونية أنها حركة تحرير وطنية لإعادة شعب مضطهد مقيم كأقليات في مجموعة متنوعة من الدول إلى وطن أجداده وقد ساهمت محرقة الهولوكوست في إقناع اليهود بأفكار الحركة الصهيونية كثيرا بدعوى المظلومية ودافعا كبيرا للهجرة والقتال لإقامة دولتهم اليهودية في فلسطين [2] .

نرى أن هنا العديد من الأدباء يقدسون دولة إسرائيل ويعبرون عن دعمهم وأحقيتها بالأرض، كما هو الحال بالنسبة إلى الأديب "عاموس عوز" من أشهر الأدباء المنتمين إلى التيار اليساري العلماني، الذي نشرت لهم أعمال روائية ومؤلفات أخرى تتناول الوضع في دولة إسرائيل وتصف الأوضاع بتحليل منطقي إلى حد بعيد ككتاب " في ارض إسرائيل " وكتاب " إسرائيل وفلسطين والسلام، مقالات " الذي عبر فيه عن رأيه في حل الدولتين خاصة بنظرة أن حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني يكون بالأرض مقسمة دولتان تعيشان في سلام جنبا إلى جنب كونه من كتاب الإسرائيليين جعل الصفوف للحركة الصهيونية تزيد، يوجد غيره من الأدباء الكثيرين الذين سعوا إلى الدفاع عن فكرة أحقية اليهود بأرض فلسطين[3] .

بالرغم من وجود العديد من الأدباء اليهود الذين دعموا الحركة الصهيونية بكتاباتهم إلا أننا نجد من ينادون بعكس ذلك ويدافعون عن الشعب الفلسطيني بالرغم من كونهم يهود.

[1]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة الأدب الصهيوني www.wikipedia.org .
[2]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة الصهيونية www.wikipedia.org .
[3]- مروى بلفقاس، غسان الكتفانى الإسرائيلي .. ماحقيقة وجوده، الجزيرة نت www.aljazeera.net .

هناك من يرى بان إسرائيل تحظى بشيء لم تحظى به الشعوب الأخرى التي نالها الأذى وهو شعور العرب بعقدة الذنب تجاه اليهود بسبب الجرائم المعنوية والمادية التي ارتكبوها بحقهم ونحو الكيان الذي أقاموه لهم على أنقاض فلسطين فبات المساس بذلك الكيان خطا أحمر لا يغفر لمن يجتازه مهما كانت المبررات وكأنهم بذلك يحاولون تعويض اليهود عن بعض ما فعلوه به.

الفصل الثاني : صورة اليهودي في رواية زمن الخيول البيضاء

المبحث الأول: ما قبل النكبة

المبحث الثاني: الخيانة العربية لفلسطين

المبحث الثالث: النكبة 1948

المبحث الأول: ما قبل النكبة

من خلال المتن الروائي العربي والفلسطيني يظهر لنا سعي كتابها إلى استعادة فلسطين، من خلال تصوريهم لأحداث ترجع إلى فترة ما قبل النكبة، ويعدّ الكاتب إبراهيم نصر الله وروايته **"زمن الخيول البيضاء"** من أهم هذه الأعمال، فالقارئ لهذا النص يتخيل له أنه يقرأ لعمل تاريخي مشابه للملحمة، كملحمة الإلياذة. تعود أحداث الرواية إلى فترة التواجد العثماني وأحداث تجنيد الفلسطينيين في الجيش التركي وخضوع الفلسطينيين إلى الأتراك، وهذا ما نجده في الرواية التي يسعى الكاتب من خلالها إلى التأكيد على التواجد الفلسطيني في الأرض قبل التواجد الصهيوني بسنوات طويلة وإن لم نقل يمتد لقرون وأزمنة بعيدة.

الرواية تبدأ بالحديث عن الوجود العثماني بفلسطين وبالتحديد في قرية الهادية التي تحمل من الرمزيات ما تحمل، وارتباط سكانها بالأرض وبالخيل خاصة، التواجد العثماني في الرواية في البداية كان لحماية سكان المنطقة لكنه استغل سكان المنطقة في الحروب، بالإضافة إلى الاستغلال المادي وهذا له دلالة واضحة وهي معاناة الفلسطينيين عبر العصور والأزمنة.

استغل الحكم العثماني سكان المنطقة في حروبهم مع الدول الأوروبية من أجل بقائها ففي الحرب العالمية الأولى، استدعي أبناء فلسطين للخدمة العسكرية في الجيش العثماني، وهذا ما ذكره الكاتب إبراهيم نصر الله في بداية الرواية**"إلاّ أنّ كل شيء بدأ يتأرجح حين راحت الإمبراطورية العثمانية تتأرجح وبدتْ مستعدة لأن تفعل أيّ شيء مقابل الحصول على المال والرجال كمجندين، فأطبق مأمور الضرائب على القرى من جميع الاتجاهات..."**[1]، هذا الأمر أثر كثيرا على الشباب الفلسطيني وجعلهم يحقدون على أولياء الأمور في تلك الحقبة.

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء (الملهاة الفلسطينية)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007، الصفحة 46.

"فجأة ضاعفت الحكومة أعداد الشباب الذين تحتاجهم جنوداً، ولم يفلت من ذلك سوى قلة قليلة، أولئك الذين كان بإمكانهم أن يدفعوا بدلاً للحكومة مقداره ستون ليرة عثمانية، ولم يكن بالمبلغ القليل، إلا أنّ ذلك لم يكن يعفيهم من الخدمة لمدة خمسة أشهر في أقرب موقع لقراهم ومدنهم، أما أولئك الذين لم يكونوا يستطيعون الإفلات بمالهم أو بفرارهم فقد كانت القطارات في انتظارهم لنقلهم لأداء الخدمة في أماكن لا يعرفون عنها شيئا"[1].

مع كل المشاكل التي عاناها الفلسطينيون مع الحكم العثماني، واجهوا مشكلاً آخر وهو سعي الكنيسة المسيحية لتوسيع تواجدها في المنطقة بطبيعة الحال بحماية من الانتداب البريطاني وحتى العثماني قبلهم، سكان الهادية استغربوا بناء دّير في قريتهم، رغم قلة المسيحيين في منطقتهم، لم يفهموا بعد أنّ هناك ما يُدَّبر لهم من خطط؟

"اندفعت الهادية كلها للعمل، حين تقرر البدء ببناء الدّير، وبعد أقل من ثلاثة أشهر، كان يمكن أن يُشاهدَ المرء منه ليلاً، أضواء سبع قرى على الأقل تنتشر في السهول والتلال المحيطة بالقرية. كان على ديميترس، المهندس الأشقر ذي الشعر الطويل المعقود كذيل فرس أن يُشير، ولم يكن أهل البلد عاجزين عن التنفيذ بدقة... وبعد ثلاثة أشهر من اكتمال بناء الدّير حضر الخوري جورجيو..."[2]يذكر الكاتب هنا كيف بدأ الحضور المسيحي في قرية الهادية، والذي كان ببناء الدّير، بطل الرواية الحاج محمود يستنكر ذلك وهذا واضح من خلال حوار له مع من كان في الدّير قائلاً: **" هم يقولون صُلب، القرآن يقول " وما صلبوه وما قتلوه ولكن شُبِّه لهم"**[3].

الرواية حوَّت الكثير من الأحداث التي سبقت النكبة الفلسطينية، والتي كانت تنبئ بشيء خطير. ضاقت صدور الفلسطينيين من تصرفات القائمين على بلادهم من العسكر

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 141.

[2]– الرواية، ص22.

[3]– الرواية، الصفحة نفسها.

البريطاني، وأحسوا أنّ أرضهم تُنهب منهم، وهم يرون بناء المستعمرات التي سُميت فيما بعد بالمستوطنات وهذا ما وضَّحه الكاتب في الرواية على لسان الراوي وأبطال الرواية.

" يعرفون أنّ ما يرونه مستعمرة؟ ولكن كيف استطاع اليهود بناءها في ليلة واحدة هكذا؟ كيف لم يسمعوا شيئاً، كيف لم ينبح كلب أو تصهل فرس أو يصحو أحد على كل تلك الضجة التي لا بدّ أن يُحدثها تجهيز شيء كبير كهذا.

ومع صعود الشمس أكثر وأكثر، أدركوا أنّ البيوت لم تُبن هنا، بل هي بيوت جاهزة جيء بها من مكان بعيد..."[1]

استفاق أهل القرية على وجود مستعمرة لليهود بين ليلة وضحاها، هذا جعلهم يشعرون بالخوف والرهبة مما هو قادم، فأخذوا أسلحتهم البيضاء (مع العلم أنّ كل الأسلحة النارية قد سُلبت منهم من قبل البريطانيين)، لكنهم واجهوا العسكر البريطاني المُدجج بالأسلحة فاضطروا للاستسلام للأمر الواقع**"...وهناك رأوا ثلاث عربات جيب عسكرية إنجليزية فوق الشارع الأسود الطويل، الشارع الذي تمّ شقّه منذ عشر سنوات ليصل الهادية بالرملة شمالاً وغزة جنوباً باتجاه الغرب والقدس شرقاً. وقبل أن تصل العربات كانت أسلحة القرية البيضاء كلها قد اختفت تماماً.**

"–منذ اليوم سيكون لكم جيران جدد، وعليكم أن تحترموا وجودهم. سيُمنع اقتراب أي شخص أقلّ من مائة متر من الأسلاك الشائكة، وكل من يقترب سيتحمّل نتائج فعلته. هذه الأراضي ليست لكم، إنها من أراضي الدولة...قال الضابط الإنجليزي إدوارد بترسون"[2].

لقد صور إبراهيم نصر الله حياة الفلسطينيين في فترة مهمة في تاريخ فلسطين، فترة تعرضت فيه للتدمير الممنهج، وليوضح ذلك استخدم المصادر التاريخية، من شهادات وكتابات وغير ذلك، وكان لزاماً عليه التزام الأمانة والصدق في تصوير الأحداث قبل

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء،ص 258.

[2]– الرواية، ص 259.

النكبة، لذلك كان من الضروري وصف فترة الحكم العثماني في المنطقة العربية، والغاية من كل الأحداث المذكورة من قبل الروائي هي تقديم سردية مضادة للرواية الصهيونية.

قرية الهادية المذكورة في الرواية تمثل كل فلسطين، والتي عانت من الوجود العثماني ثمّ هجرة اليهود وتمكين الاستعمار البريطاني اليهود من امتلاك أراضي فلسطينية، مع خزي وخيانة الحكام العرب وفشل الزعامات الفلسطينية. كل ذلك نجده واضحاً في رواية "**زمن الخيول البيضاء**"، مع ذكر لنضال سكان قرية الهادية منذ البداية، الذين عبَّروا عن رفضهم للتواجد العثماني والانتداب البريطاني وفي الأخير كفاحهم مع الوجود اليهودي، والذي لم يعلموا أنه وجود مبَّطن لوجود صهيوني يُنذِر باستعمار جديد.

المبحث الثاني: خيانة القيادات العربية لفلسطين

- **الخيانة:**

تعد خيانة الحكام لفلسطين قضية حساسة ومؤلمة على مر التاريخ وقد حدثت بعض الحالات التي تفتقر إلى الدعم والحماية الكافية لحقوق الشعب الفلسطيني.

يوجد عدة أسباب وعوامل تفسر خيانة بعض الحكام لفلسطين قد تكون في تأثر بعض الحكام بالضغوط السياسية أو الاقتصادية الخارجية أو للسعي للحفاظ على مصالحهم الشخصية أوقد تكون بحثا عن السلطة.

وقد أشار الروائي إبراهيم نصر الله في رواية زمن الخيول البيضاء في مواضع عديدة إلى قضية خيانة الحكام العرب تجاه فلسطين لأنها قامت بإعداد جيش كبير للمقاومة وقمع الثورة في الأراضي بالإضافة إلى أنهم سلَّموا فلسطين بكل سهولة كما قال الكاتب في روايته على "طبق من ذهب".

كانت الخيانة العربية لفلسطين متواجدة منذ العهد العثماني وفي رواية زمن الخيول البيضاء بدأت ملامحها تظهر مع شخصيات عدة نذكر منها:

شخصية سليم بيك الهاشمي :يعتبر شخصا أنانياً لا يبحث إلا عن مصالحه الشخصية يدعي الوطنية والانتماء وحب الخير،إلا أنه بعيد كل البعد عن هذه الصفات لا يشعر بالظلم الذي يتعرض له أهل قريته، و دائما ما يتردد في مساعدتهم بالرغم من قدرته على ذلك، وكان من الشخصيات التي استسلمت لسياسة المآدب والحفلات التي تجمع العرب مع اليهود والانجليز ويظهر ذلك في الصفحة 380 في الرواية (ليلة روزلين) حين أقام حاكم اللواء سهرة على شرفه التي تجمعهم مع العديد من الزعامات والوجهاء والشخصيات العامة**"كان حاكم اللواء قد سمع بما حدث لسليم بيك الهاشمي فأرسل إليه باقة من الزهور مصحوبة بورقة اعتذار وتمنيات بالشفاء العاجل ... الذي التقطها سريع او قرر إقامة سهرة يدعوا إليها عددا من الزعامات والوجهاء والشخصيات العامة وتكون على شرف الهاشمي نفسه "**[1].

ويعد سليم بيك الهاشمي من أغنى الناس كان مهتما جدا بنفسه وبيته حيث كان يغير ديكور أثاثه كل سنة وطاقم الخدم وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على اعتباره الخدم جزء من الأثاث**"كان سليم بيك الهاشمي سعيد دائما بالأوقات التي يمضيها في قصره الريفي ...يدعو أصدقائه من العرب والانجليز في الخميس الأخير من كل شهر"**[2]

إلاّ أنه كان فاقد للاحترام من قبل الجميع حتى من قبل الانجليز ومثال ذلك شخصية بترسون**"كان سليم بيك الهاشمي على وشك أن يفتح فمه حين تلقى تلك الضربة المفاجئة من هراوة بترسون ضربة صاعقة كان يمكن أن تطيح برأسه لولا انه مال في اللحظة الأخيرة فتلقاها بذراعه "**[3].

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص380.

[2]– الرواية، ص 398.

[3]– الرواية، ص 377.

ويظهر كذلك في الرواية عدم مساعدته لأهل قريته حينما لجئوا إليه عندما كانوا بحاجة إلى قوة تقف إلى جانبهم في قضيتهم مع الدِّير حين جاءهم الأمر بإخلاء البلد وهم يعلمون أن الانجليز سيقفون إلى جانب الدِّير لكن سليم بيك الهاشمي لم يساعدهم بشيء إلا بالكلام على قول أنيسة:**"شو بتستنوا ما المكتوب باين من عنوانه ...الانجليزي نهشوا فينا واليهود ينهشوا فينا ومشايخنا ينهشوا فينا ...وكلمة تأخذنا وكلمة تودينا"**[1].

أنيسة التي ظهر دورها في الرواية بأنها شخصية مساندة لأهل بيتها ولها رؤية ثاقبة في الأمور وذلك واضح في موقفها هذا حيث وصفت التصرف الذي قام به أخوها الحاج سالم وأهل القرية لسليم بيك الهاشمي في مشكلة ملكية الأرض بأنه تصرف لا فائدة منه.

بعد انتشار فضائح سليم بيك الهاشمي عن الليلة التي قضاها ك "ليلة روزلين"وعن موقفه تجاه أهل القرية في مشكلتهم **(ملكية الأرض)** لم يتوقف الناس عن الحديث عن فضيحته فطلب من حاكم اللواء أن يقوم بسجنه لكي يسترجع ثقة أهل قريته "الهادية"ويظهر هذا في قوله:أريد أنتصدر أمرا بحبسي أسبوع أو أسبوعين وكما نقول نحن **"أنت وكرمك"**[2].

وقوله كذلك:**"صحيح أنني طلبت من سعادتكم أن تحبسوني ولكن لا أريد أن يكون السجن حقيقيا إلى هذا الحد "**[3]، وقد اختار بنفسه السجن الذي يرغب أن يسجن فيه في قوله: **"ربما سجن عكا يكون مناسبا "**[4]،وجهزت له كل الظروف الملائمة في السجن **"كانت الغرفة قد جهزت قبل وصوله "**[5]، مع توضيح للأوقات التي كان يقضيها في

---

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 401.

[2]– الرواية، ص442.

[3]– الرواية، ص443.

[4]– الرواية،الصفحة نفسها.

[5]– الرواية، ص443.

السجن**"في الأيام الثلاثة الأولى كان يتناول طعامه على مائدة مدير السجن نفسه يلعبان بعد ذلك الشطرنج إلى ساعة متأخرة "**[1].

وتظهر الخيانة كذلك في شخصية الأب منولي الذي تسلم أمور الدير لفترة من الزمن وهو أسوء الرجال الذين أرسلوا إلى القرية ذلك لأنه يتصف بالخبث نضرا لما قام به من أفعال ضد أهل الهادية ونكرانه لأحقية أهل الهادية بملكية أرضهم ووقوفه في المحاكم ضد أهل القرية ومساعدته لليهود في شراء أراضي الهادية ويتضح هذا في الرواية في قوله:**"هذه الأراضي للدير ولا يستطيع أحد أن يقول لنا لمن نبيع ولمن لا نبيع!"**[2] وقوله كذلك: **"هذه الأراضي للدير ويحق له أن يتصرف فيها كما يريد ولستم في النهاية أكثر من أجراء"**[3].

الطمع والجشع الذي كان يتصف به بعض الملاكين والدور السلبي الذي يلعبه السماسرة ذوي النفوس الضعيفة هو الذي تسبب في تسريب الأراضي لليهود و قد كشف إبراهيم نصر الله في روايته عن هذا فقد أشار إلى قضية شراء اليهود للأراضي الفلسطينية ويظهر ذلك في شخصية سمسار اسمه أسعد نسناس وشخصية الأب منولي حينما جاءوا مع شخص يهود اسمه ليفي **"وقفوا يعاينون قطعة أرض غربي سور المستعمرة التي أقيمت على أطراف الهادية وعلى جزء من أرضها"**[4]،إلا أنّأهل الهادية لم يوافقوا ووقفوا ضد الأب منولي وأسعد نسناس وذلك في قولهم **"نعم لقد وقفنا في وجههم ومنعناهم من أن يروا أرضنا التي يريدون المتاجرة بها"**[5].

---

[1]– الرواية، ص444.

[2]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء،ص416.

[3]– الرواية، ص417.

[4]– الرواية، ص417.

[5]– الرواية، ص 420.

وذكر إبراهيم نصر الله شخصية أخرى في الرواية وهي شوكت المختار الذي عين كقائد للمعسكر الذي**"بعد تعيينه لم تتوقف الشاحنات اليهودية يوما واحدا في نقل السلاح "**[1]،وعندما طلب منه مناضلين يعملون في المعسكر أني أخذوا بعضا من السلاح لأنهم بحاجة إليه رفض ذلك بسبب خوفه من دوريات الجيش البريطاني في قوله :**" لا أستطيع فأنتم ترون دوريات الجيش البريطاني حولنا "**[2]، لكن وبعد إصرار كبير منهم قبل مساعدتهم لكن بدون أن يكون معهم حيث قال :**" لكنني لا أستطيع أن أكون معكم "**[3]، وهنا تتضح شخصية شوكت المختار بأنها شخصية لا تهمها حالة البلد ولا ترغب بمساعدة المناضلين فكل ما يهمه مصلحته الشخصية وعدم تورطه مع البريطانيين .

واتضح في الصفحة 492 من الرواية خيانة قادة العرب لفلسطين ومثال ذلك قائد جيش الإنقاذ فوزي القاوقجي الذي خُيِّلَ للناس أنه بطل في بداية الأمر لكنه اتضح لاحقاً أنه أكبر خائن.**"في_4_11948اجتمع قاوقجي سراً مع جيوش بالمون أحد قادة الهاجانا هو أو لرئيس للموساد في الكيان الصهيوني فيما بعد من أجل تنفيذ المخططات المعدة مسبقاً"**[4].

"كانت له و لجيوشه تحركات مشبوهة موهماً الناس أنه يقاتل فسلَّم منطقة الجليل كلها إلى اليهود وفي وجود جيش الإنقاذ سقطت مدن فلسطينية كبيرة مثل حيفا ويافا وعكا والناصرة وصفد"[5] و هنا ثبت للجميع أنه كان متواطئا مع الصهاينة و بتنسيق غريب **"خرج من فلسطين مذموماً تلاحقه اللعنات "**[6].

---

[1]– الرواية، ص452.

[2]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء،ص452.

[3]– الرواية،الصفحة 453.

[4]– الرواية، ص 492.

[5]– الرواية، الصفحة نفسها.

[6]– الرواية، الصفحة نفسها.

ونجد كذلك شخصية صبري النجار الذي يعتبر شخص خائن يبحث عن السيادة مهما كان الثمن،مساعداً للإنجليز وعاملاً مضاداً للحاج خالد فقد وصف في الرواية بأنه ممسحة لأقدام الانجليز **" لن تجد أفضل منه ممسحة لأقدام الانجليز"**[1]،إلا أنّ ابنه كان عكسه تماما فقد كان من الثوار و من أشَّد المناصرين والداعمين للحاج خالد والمفاجئة الكبرى هي أنه هو من قتل أباه**" أخرج كريم المسدس و صوبه نحوه كانت المفاجأة وحدها كافية لقتل الحاج صبري لكن كريم كان بحاجة لإطلاق النار أيضا"**[2] وذلك بسبب وشايته للإنجليز مقابل المال فهو من غير الزاجلة التي أرسلها الحاج خالد إلى زوجته سمية بأخرى ليعرف مكانه ويخبر الإنجليز عنه **" لم يعرف احد كيف وصل سر الزاجلة التي يستخدمها الحاج خالد في نقل رسائله لأسرته ورجاله في الهادية إلى صبري النجار الذي ما إن عرفه حتى أدرك أنّ أيام الحاج خالد باتت معدودة حيث قام باستبدال الزاجلة بأخرى تشبهها تماما"**[3].

[1]– الرواية، ص289.

[2]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، الصفحة390.

[3]– الرواية، ص 390.

المبحث الثالث: أحداث النكبة 1948م

إنّ التجارب الشخصية للروائيين كانت جدٌّ مهمة من أجل بناء المادة السردية التي تعمل من خلال التخيل وابتداع الشخصيات وتصوير الأحداث، ساهم ذلك في تركيب صور للحياة الفلسطينية التي انقطع تسلسلها وتدفقها بفعل حدث النكبة[1].

وهذا ما نجده في رواية زمن الخيول البيضاء لإبراهيم نصر الله التي صور فيها معاناة الفلسطينيين مع الاحتلال البريطاني ومساعدة الانجليز اليهود للاستيلاء على أراضي فلسطين، كما جسد فيها كذلك معاناة الفلسطيني مع اليهود.

ففي فترة الانتداب البريطاني قدمت الحكومة البريطانية دعما لليهود في فلسطين، كان الهدف من ذلك تعزيز القوة العسكرية لليهود وتحقيق الأمان والحماية لهم في ظل التوترات السياسية والأمنية التي كانت تحدث في تلك الفترة **"فقد كان أهل الهادية يرون بأم أعينهم شاحنات المستعمرات اليهودية تأتي فارغة وتذهب ممتلئة بأسلحة وذخيرة وقنابل وألغام من كل الأنواع"**[2]وهنا تتمثل صورة اليهودي الخبيث الذي تمكَّن من سلب الأرض تدريجياً دون أن يحسّ الفلسطينيون بشيء غامض، فلقد استقبلوهم في موطنهم، لكن الغدر كان أول شيء يقومون به، فأصحاب الأرض الحقيقيون لا يستطيعون فعل أي شيء وهذا كماما ذكره الكاتب على لسان أحد أبطال الرواية :**"أنتم قاعدون هنا و اليهود ينقلون أسلحة الانجليز إلى مستعمراتهم"**[3]، بينما كانوا لا يسمحون للفلسطيني أن يحمل

[1]– ينظر: صالح فخري، النكبة والرواية ...أعمال روائية تبلور الهوية الفلسطينية، العرب، 2020_02_09

[2]– الرواية، ص 451.

[3]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 451.

السلاح أو حتى سكينا ويعاقبون من يحمل السلاح أشد العقاب وقد يقتلونه دون تردد" **أنتم تعرفون أن فشكة واحدة تضبط في جيب أحدنا ستكون سببا كافيا لشنقه"**[1].

رغم كل هذا كان الثوار الفلسطينيون يتعاملون بود مع اليهود الذين عاشوا معهم دون أي مشاكل منذ زمن طويل، حتى أنهم كانوا يطلقون سراح الأسرى اليهود **"وفي مرات كثيرة يطلقون سراح أولئك اليهود الذين يعرفونهم، اليهود الذين عاشوا معهم دون أي مشاكل منذ زمن طويل"**[2].هنا يُصور الكاتب لنا اليهودي المسالم أو الذي كان الفلسطينيون يرونه مسالماً، فيعفون عنهم بحسن نية، لا يعلمون أنّ أغلبهم مخادعون. مباشرة بعد خروج الإنجليز من فلسطين استولوا على ما تبقى من الأراضي وهنا بدأت نكبة الفلسطينيين.

شهدت قرية الهادية العديد من المعارك التي استشهد فيها عدد كبير من الثوار والمواطنون، نذكر مثال ذلك المعركة التي صورها إبراهيم نصر الله في روايته التي لم يعرفوا مثلها قبل والتي أصيب فيها العديد من الأشخاص **"اندلعت نيران المعركة في الثامنة صباحاً،وظلت تدور حتى الثامنة ليلاً، لكن المستعمرة كانت تملك كل السلاح الذي لا يملكه أهالي القرى"**[3]،وهنا وضح الكاتب مرة أخرى أن أهل القرية لم يكن لديهم أي سلاح للدفاع عن أنفسهم،**"راحت قذائف المورتر تتساقط على المهاجمين، بحيث شلّت حركتهم"**[4]. وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدّل على الصورة المَقيتة لليهود الذين جاءوا مسالمين في البداية وتملقوا الفلسطينيين حتى تمكّنوا من أخذ كل شيء، كانت خطّة كبيرة لم يُدركها الفلسطينيون إلاَّ بعد فوات الأوان.

---

[1]– الرواية، الصفحة نفسها.

[2]– الرواية، ص 452.

[3]– الرواية، ص 469.

[4]– الرواية، الصفحة نفسها.

كانت هذه المعركة من أكبر المعارك التي شهدتها قرية الهادية حيث أصيب العديد من المناضلين واستشهد العديد من الرجال حتى اللذين أتوا من قرى أخرى**"كانت معركة لم يعرفوا مثلها من قبل، أصيب عبد الفتاح ملحم، ومحمد أسعد، وهاشم شحادة، وإيليا راضي، واستشهد عدد من الرجال الذين أتوا من قرى أخرى[1]"**،وما هذه المعركة إلاّ واحدة من المعارك الكثيرة التي استشهد فيها العديد من الشهداء الفلسطينيين،**" كانت تلك المعركة تاريخا.كما ظلّ يردد الحاج سالم.فقبلها كانت المعارك تخاض سرًّا"[2].**

في هذه الفترة كان الجميع يدرك أن هذه الأيام هي الأخيرة للإنجليز، حيث كانوا يريدون الانسحاب فقط وترك الساحة لليهود بعدهم**"كانت تلك هي الأيام الأخيرة لبريطانيا، يعرف الجميع هذا، ولم يعد يهمها شيء سوى أن تنسحب بأقل الخسائر الممكنة"[3].** هذه كانت غايتهم منذ البداية، وفق اتفاقيات أُبرمت مع الصهاينة متمثلة في وعد بلفور الشهير.

كان اليهود يقذفون الرعب في قلوب الشعب**"كانت الاشتباكات في تصاعد مستمر وكان اليهود ينشرون الرعب بين الفلسطينيين بشتى الوسائل"[4]**،وكانوا يجبرونهم على ترك بيوتهم وإخلاءها بالعنف، لقد وضح ذلك إبراهيم نصر الله في شخصية ناجي الذي سلبوا منه بيته ولم يسمحوا له حتى بالعودة لأخذ أغراضه **"كل ملابسي وأشيائي داخل البيت.سأذهب مهما حدث.وكان يرتدي الزي الرسمي. قبل أن يصل أطل واحد من قوات الهاجاناه من شباك غرفة ناجي، كانوا يعرفونه، وفجأة أشهر سلاحه وأطلق النار.تراجع**

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 471.

[2]– الرواية، ص 471.

[3]- الرواية، ص 477.

[4]– الرواية، ص477.

ناجي"[1]،هذه صورة اليهودي المتسلط، السارق ، أقاموا دولتهم وكيانهم من سياسة السلب والنهب.

"ابن الحرام كان يطلق النار ليصيب لا ليخيف.قال ناجي بانفعال"[2]وقد مارسوا عليهم جميع أساليب التهديد**" إذا ما أردتم البقاء على قيد الحياة فاحملوا ما تستطيعون حمله من متاعكم وارحلوا.إن بقيتم هنا فانتم تحكمون على أنفسكم بالموت"**[3]، وكانوا يحرمونهم من الدفاع عن أنفسهم وبيوتهم، فكان احتلالهم للبيوت في زمن وجيز جدا، لقد جهزوا لكل شيء حتى اختيارهم للمنازل الواسعة وكيفية تقسيمها، **" دخل الحوش، أبصر ملابس وأغراض أسرة سمعان ملقاة في الخارج، أزالت الأسرة اليهودية الحاجز الخشبي، وأطلّت تراقب المشهد من شقتها وشقة عائلة سمعان، لقد احتلوا كل شيء بسرعة غير عادية"**[4]. احتل اليهود كل شيء وهم يشعرون بسعادة عارمة، لا يهمهم أي أحد.

" خرج شاؤول الرجل الستيني، رب الأسرة اليهودية واقترب من ناجي: ليس هناك ضرورة لكي تصعد الدرج، أغراضك وضعناها في تلك الزاوية، وراءك مباشرة. استدار ناجي، كانوا قد وضعوها إلى جانب الباب. خذها وارحل بسلام، وإن كنت تريد نصيحتي فاحملها ولا تتوقف قبل الوصول إلى شرق الأردن."[5]صورة اليهودي الوقحة والمخادعة ظهرت جليا من خلال هذه الفقرات، يريدون تهجير الفلسطينيين من أراضيهم واستيلائهم على كل ممتلكاتهم حتى الأثاث، لم يأخذ الأهالي معهم إلا بعض الثياب، وما كان بإمكانهم الدفاع عن أنفسهم ، فاليهود كانوا مسلحين، حتى كبار السن والنساء، وهذا ما أراد الكاتب تصويره للقارئ من خلال حوار الرجل المسن شاؤول وناجي.

---

[1]– الرواية، ص 478.

[2]– الرواية، الصفحة نفسها.

[3]– الرواية، ص 477.

[4]- الرواية، ص 478.

[5]- الرواية، الصفحة نفسها.

الأحداث جرّت بسرعة مذهلة، لكن من المؤكد أنها لن تمرّ بسلام، فجمع كبير من أهل القرية اتفق على حمل السلاح ومحاربة هذه العصابات اليهودية، فجاء في الرواية حديث جدي بين سكان " الهادية ":

"لكن اليهود لا يحاربوننا كجيوش بقدر ما يحاربوننا كعصابات، فلماذا لا نفعل الشيء نفسه، ثم لماذا تحرموننا من الدفاع عن بيوتنا؟ "[1]، حتى أنهم كانوا لا يرحمون أحداً كبيراً كان أم صغيراً.

كل ذلك زاد من عزيمة شباب المنطقة من أجل مواجهة هؤلاء اليهود المغتصبين للأرض، فغيمّ على القرية جوّ الموت والحرب،**"لكن الموت عاد يدق أبواب القرية من جديد حيث سقط الطفل يحي عيّاد، كان في الثانية عشر من عمره"[2]**، وأهل القرية كانوا يرون كل هذا أمام أعينهم لكنهم كانوا مكتوفي الأيدي في قول أحد ضباط فلسطين**"كل يوم أرى إنساناً يقتل ولا أستطيع أن افعل شيئاً. أي هوان هذا"[3]**.

بقي اليهود مواصلين في أفعالهم الشنعاء حتى أنهم استخدموا طرق جديدة لقمع الثورة الفلسطينية كما أشار إليها الكاتب في هامش الكتاب**"كان الصهاينة شرعوا باستخدام طرق جديدة لقمع الثورة الفلسطينية، تضمن تفجير المقاهي بالقنابل (في القدس مثلا في 17آذار 1937) وزرع ألغام موقوتة كهربائياً في الأسواق المكتظة بالفلسطينيين، والتي استخدمت لأول مرّة ضد فلسطيني حيفا في 06 تموز 1938"[4]**.

وقد صور إبراهيم نصر الله صورة اليهودي المخادع الذي لا يهمه سوى البحث عن مصالحه الشخصية وتمثل ذلك في انقلابهم على البريطانيين ذلك بسبب تقليل البريطانيين

---

[1]– الرواية، الصفحة 482.

[2]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 482.

[3]– الرواية، ص 482.

[4]– الرواية، ص 486.

من دعمهم للمشروع الصهيوني**"عندما اضطر البريطانيون للتقليل من دعمهم للمشروع الصهيوني ...أصبحوا هم أنفسهم هدفا للهجمات الصهيونية. حيث تضمن الرد الصهيوني ...اغتيال مسئولين في الحكومة البريطانية، وخطف مواطنين بريطانيين كرهائن،تفجير مكاتب تابعة للحكومة البريطانية وقتل موظفين ومدنيين ...تفجير سيارات متوقفة بالقرب من مبان حكومية، وقتل رهائن كرد على الممارسات الحكومية والبعث برسائل وطرود متفجرة لساسة بريطانيين في لندن، وأعم الأخرى مشابهة "**[1].

رغم أنّ الهزيمة كانت واضحة للجميع**"رائحة الهزيمة كانت تفوح من كل شيء"**[2]، والوضع كان يزداد سوءا كل يوم**"أصوات الرصاص والانفجارات تملا الأنحاء، ما يظنه صادراً مكَّن الجنوب يكتشف بعد لحظات أنه من الشرق وبين حين وحين يضاء الأفق بانفجار أخرس ما يلبث أن يتلاشى كالبرق"**[3]، كانت الحالة جد مزرية الموتى في كل مكان**"كلما كنا نصل إلى بيت كنا نسمع البكاء والصراخ فيه، كان القتلى في كل مكان"**[4].

إلا أن الهادية ظلَّت صامدة وظلَّ أهلها يدافعون عنها لآخر نفس بشتى الطرق، لكن لم يكن هناك من يدعمهم لا بالسلاح، ولا بالعتاد، فكانوا يلجئون إلى أبسط الحلول كحرق السيارات**"حين مضى الجنود لإزالة الحاجز، سمعوا حركة خلفهم، التفتوا، رأوا حجارة تتدحرج، وتسدّ الطريق خلفهم. وفي تلك اللحظة رأوا شعالات نار تسقط من جانبي الطريق ... شهدوا النار تزحف باتجاههم، شهدوا الشارع نفسه يحترق، ذهلوا كانت النار تتقدم بسرعة باتجاه العربات ... رأوا إحدى السيارات تطير بسبب انفجار خزان**

[1]– الرواية، ص486.

[2]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 487.

[3]– الرواية، ص 488.

[4]– الرواية، ص 490.

وقودها وسريعاً اندفعت النار تأكل كل ما تلمسه ...اشتعلت السماء بالنار وامتلأ الفضاء بأصوات الانفجارات"[1].

وقد بينّ الكاتب أنه لم يكن هناك أي تنسيق بين الجيوش العربية حتى أنَّ أسلحتهم كانت في الكثير من الحالات فاسدة ومثال ذلك:**"من الحوادث المشهودة قيام فرقة من جيوش الإنقاذ بقصف فرقة أخرى هاجمت المستعمرة الإسرائيلية قرب غزة،لأنها لم تأخذ الإذن من الفرقة الأولى، وأمرتها بالتراجع"[2]**ومثل هذه الأخطاء هي التي ساهمت في هزيمة الهادية.

وبعد كل الأحداث التي جرت اجتمع مجموعة من الضباط وكبار أهل الهادية للتشاور في الأمر والخروج بقرار مشترك وهنا تبين مدى تمسكهم بأرضهم ورغبتهم في الكفاح **"هل ننسحب بعارنا أم نقف وندافع عن حياة هؤلاء الناس وقضيتهم العادلة"[3]**

ونتيجة قرارهم هو المواصلة في الكفاح و تبين ذلك في قولهم: **"الموت أو العودة إلى بلادنا مرفوعي الرؤوس"[4].**

وبالرغم من وجود الخيانة من قادة العرب الكبار إلا أنّ ثوار فلسطين قاتلوا وحاربوا لآخر نفس من أجل الهادية ووضعوا العديد من الخطط التي نُفذت في وقت جد قصير بالرغم من قلة العتاد وقلة الدعم**"كانت السرعة التي نفذت فيها الأوامر مدهشة للجميع، حتى اليهود اللذين وجدوا أمامهم أسلاكا شائكة واستحكامات بهذه القوة"[5]**

---

[1]– الرواية، ص 473.

[2]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء،ص 491

[3]– الرواية ،ص 492.

[4]– الرواية، الصفحة نفسها.

[5]– الرواية، ص493.

لكن اليهود وكما كان متوقع ألم يستسلموا ولم يوقفوا القصف **"تحولت السهول المحيطة بالقرية إلى رماد مع تزايد قصف الطائرات والمدفعية"[1]، " تحولت أشجار الصبار إلى فحم، تلك التي لم يجدوا سواها في الفترات الأخيرة طعاما للمواشي بعد إحراق أشواكها[2]".**

كان الإسرائيليون دائما ما يطالبون بإقامة هدنة وفترة مفاوضات التي كانت تكسب أهل الهادية بعض الوقت للراحة و لكي يلتقطوا أنفاسهم، فقد كانوا جميعا بحاجة إلى هذه الراحة **"كان الجميع بحاجة إلى فترة هدوء يلتقطون فيها أنفاسهم الجنود وأهل القرية :لن نحسر شيئا سنكسب الوقت وهذا الأمر لصالحنا"[3].**

لقد وصف لنا الكاتب اليهود وصفاً بالغ الأهمية، من خلال أحداث النكبة التي بينت للفلسطينيين ما كان يُحاك ضدّهم طيلة سنوات، ولأنّ اليهود صَعُبَ عليهم امتلاك " قرية الهادية" بالقوة لجئوا إلى قوات الأمم المتحدة وبعض العرب لمساعدتهم في الأمر دون أن يخسروا أرواحاً جديدة من بين جنودهم ومجنديهم.

إلا أنَّ قرارات بعد الهدنة دائما ما تكون صادمة للفلسطينيين، ففي هذه المرّة طلب اليهود من الفلسطينيين الاستسلام وترك البلاد بقولهم:**"سنعتبركم أسرى حرب، ولستم أفضل من جنود هتلر الذين استسلموا.ستعيشون بدل أن تموتوا في القتال أو بسبب**

[1]– الرواية، ص 494.

[2]– الرواية، الصفحة نفسها.

[3]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 497.

الجوع"[1]وبقولهم كذلك: **"هذه البلاد بلادنا،وقد وعدنا الرب بها"**[2]، وهنا تبين اعتقاد اليهود وتأكدهم بأنّ فلسطين أرضهم وقد وعدهم الله بها**" فانتم تقاتلون على أرض غيركم"**[3].

الكاتب على لسان الراوي هنا يطرح تساؤلات كثيرة: ما شأن الفلسطينيين بحربكم مع **"هتلر"**، كما أنّ هذه الأرض ليست أرضكم، إنّ هذا استغباء كبير لشعب بأكمله، يستنكرون تاريخ أمة جذورها ضاربة في هذه الأرض لقرون عديدة.

بانت صورة اليهودي الخائن والمخادع والكاذب في الرواية حينما عقدت هدنة لمدة شهر بين الطرفين تحت ضغط موظفي هيئة الأمم، لكن هذه الهدنة لم تدم أكثر من عشر ساعات**"تسللت القوى الإسرائيلية ...قامت بذبح عشرات الجنود الذين كانوا مطمئنين لبدء سريان تلك الهدنة الصغيرة "**[4].

واتضحت صورة اليهودي القاتل الذي لا يعرف الرحمة**"القتلى في كل مكان، وفي الملاجئ عشرات الجثث التي مزقتها القنابل التي ألقيت داخلها. الملاجئ التي تحولت إلى قبور حقيقية"**[5].

كالعادة ظلَّ الفلسطينيون يكافحون بشتى الطرق المختلفة، ففي هذه المرّة قام الثوار بإيهام الإسرائيليين بالاستسلام **"امتلأت الساحة الكبيرة بأولئك الذين جاءوا لكي يعيشوا لحظة الاستسلام التي لم يحلموا بها ...انطلقت المدافع تقصف بلا رحمة،وفتحت المصفحات نيران رشاشاتها، ولم يعد هناك سوى الصراخ الذي غَمرَ الأرجاء كلها. كانت الضربة**

---

[1]– الرواية، ص 498.

[2]– الرواية، ص نفسها.

[3]– الرواية، ص498.

[4]– الرواية، ص 498.

[5]– الرواية، ص 499.

موجعة جداً. وأدرك الإسرائيليون أن الهادية لن تسقط بالقوة أبداً"[1]، لكن جاءهم الرد **"خدعة بخدعة،والبادئ اظلم"[2]**،والفلسطينيون كانوا يدركون أن الرّد سيكون أقوى في قول أحد سكان قرية الهادية :**"سيَصُبون كل أحقادهم علينا ولن يتركونا نعيش حياتنا أبداً"[3]**.

كان اليهود يفرضون اتفاقياتهم على أهل القرية وفي حالة عدم موافقتهم يَذبحون ويقتلون الجميع ويتضح ذلك في الرواية:**"إذا لم نقبل بهذه الاتفاقية فسيذبحون الجميع"**[4].

وظهرت صورة اليهودي القاتل المغتصب في الصفحة 502 من الرواية حينما أطلقوا الرصاص على رأس علي الأعرج الذي كان يحرث أرضه، وقولهم لرشيد صالح الذي كان يحرث أرضه هو الآخر:**"لا تتعب نفسك بلا طائل، اذهب وخبِّر الناس هذه الأرض لنا وليست لكم"[5]**.

عاش الفلسطينيون طوال هذه الفترة حالة رعب وهلع، ففي أي لحظة يمكن أن يقصف اليهود بيوتهم، ويظهر هذا في الرواية في الصفحة 502 حيث تم إعادة بناء البرج لكي يقصف الناس من جديد **"على مدى سبعة عشر يوما لم يتوقف القنص،رصاصة من هناك وقتيل من هنا، فلم يعد الناس يجرؤون على الظهور في النهار"[6]**.

---

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 500.

[2]– الرواية، ص500.

[3]– الرواية، الصفحة نفسها.

[4]– الرواية،ص 501.

[5]– الرواية، ص502.

[6]– الرواية، ص 502.

لم يتوقف اليهود يوما واحدا عن إطلاق النار على أهل الهادية**"لم يكتفوا برصاصة تطلق، اندفعت المصفحات وسيارات الجيب اليهودية بجنون داخل القرية مع إطلاق نار شديد في الهواء"**[1].

أقفلت أبواب الحياة تماما على أهل الهادية**"لم يعد هناك فسحة للخروج لا للزراعة ولا لإحضار طعام ولا حتى لصلاة. وحده الحمام كان يطير للبحث عن طعامه، في البداية كان يعود سريعا، وحينما اشتد الحصار بدا يغيب طويلاً"**[2].

بعد كل هذه الأحداث و بعد العديد من المناقشات والكلام البائس أدرك الفلسطينيون أنهم انهزموا كما جاء في الرواية**"بعد أحاديث يائسة و مناقشات لم تُفض لشيء، بدأ الناس بجمع أشيائهم أمام بيوتهم، بانتظار يوم الرحيل"**[3]، وهذا ما يدعى بالنكبة التي ما هي إلا تشريد للشعب الفلسطيني خارج دياره،فهي الاسم الذي يطلقه الفلسطينيون على تهجيرهم قسراً وطردهم من بيوتهم بالغصب وهدمهم لها و هذا عام 1948م.

1948هي السنة التي طرد فيها الشعب الفلسطيني من أرضه وتم تحويلهم إلى لاجئين، وتدمير جل المدن والقرى الفلسطينية وتحويلها إلى مدن يهودية، وفي رواية زمن الخيول البيضاء صوّر لنا إبراهيم نصر الله أحداث النكبة في قرية الهادية حيث خرج أهل القرية من بيوتهم بأمل أن تأتي سيارات الأمم المتحدة**"عليكم مغادرة البيوت والانتظار على طرف الشارع العام"**[4]، مرَّ وقت طويل على أهل الهادية وهم ينتظرون ولم تحضر أي سيارة نقل والعودة إلى بيوتهم كانت ممنوعة عليهم، كان الوضع جد سيئ، المطر يهطل بغزارة وحالتهم كانت مزرية بكل ما تحمله الكلمة من معنى**"انهمر مطر غزير ...حين**

---

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 503.

[2]– الرواية، الصفحة نفسها.

[3]– الرواية، الصفحة نفسها.

[4]– الرواية، ص 504.

اطل الصباح، كانوا في أسوا حالة يمكن أن يكون عليها بشر.مبتلّون بالماء ومطعونون بالبرد و ملوثون بالطين"[1]، في هذا الحين كانت القذائف تتساقط على القرية وتُدمِّر البيوت أمام أعينهم، لم يكن لأهل القرية حل فالأبواب كلها قد سُدَّت في وجوههم، فكل من يفكر بالعودة إلى بيته يقومون بتفجير بيته**"نصبت خيامٌ صغيرة،وتحولت أغطية إلى خيام وراحت القذائف تتساقط على القرية، حتى بات الناس يخشون التفكير في بيوتهم فبمجرد أن كان أحدهم يقول: سأعود إلى بيتي، كانت قذيفة ما تسقط على البيت وتدمّره أو يقتلعه لغم من أساساته"**[2].

أدرك أهل الهادية أنَّ اليهود يريدون اقتلاعهم من القرية ومحوها كلياً من الوجود كما جاء في الرواية **"بدأت الهادية تصغر يوماً بعد يوم، تتلاشى أمام عيونهم وهم ينظرون إليها، وتحوّل الدَّير إلى سحابة من دخان، وعندها أدركوا أنهم يريدون محو القرية من الوجود"**[3].

بقي أهل القرية على هذا الحال في الشارع لأسابيع عدة، فقد كاد الجوع والتعب يقتلهم**"كانت الأسابيع التي عشناها على جانبي الشارع أكثر قسوة من أيام الحصار"**[4].

بدا المشهد مرعبا كما وصفه الكاتب**"وبدا المشهد مرعباً في ظل صياح الصغار الذي لم يعد يتوقف"**[5]، وبعد أسابيع عدة وصلت العربات في عصر أحد الأيام بعد أن أنهكهم الانتظار**"لم يكن باستطاعة الناس تسلقها، كان الانتظار قد أنهكهم تماماً"**[6]،تعب سكان الهادية من الانتظار الطويل حتى أنهم لم يستطيعوا صعود الشاحنات،وفيجو يملأه الحزن

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 504.

[2]– الرواية، الصفحة نفسها.

[3]– الرواية، الصفحة نفسها.

[4]– الرواية، ص505.

[5]– الرواية، الصفحة نفسها.

[6]– الرواية، ص 506.

تحركت الشاحنات وكانت الانفجاريات والقنابل تلتهم بيوت القرية**"دوّت عدة انفجارات، التفوا، فإذا بالنار تلتهم عدداً من بيوت القرية"**[1].

وصف إبراهيم نصر الله المشهد الأخير لقرية الهادية**"كان الحمام يطير محترقاً... وحينما وصلت العربات إلى تلك النقطة العالية التي تتيح للناس مشاهدة الهادية للمرة الأخيرة، كانت ألسنة الحرائق تلتهم الجهات الأربع"**[2].

قرية الهادية هي قرية خيالية تخيلها الكاتب، لكنها تعبر عن كافة أرجاء فلسطين، فكل الأحداث التي مرت على قرية الهادية والتي سردها إبراهيم نصر الله امتدت في كافة التراب فلسطيني. كما أنّ الحمام الزاجل كان له رمزية واضحة واحتراقه في آخر مشهد للرواية لدليل على زوال السِّلم والأمان في أرض فلسطين.

الكاتب إبراهيم نصر الله استخدم رمزيات كثيرة كالخيل والريح والأرض وغيرها من التسميات التي استخدمها كعناوين لفصوله. وخلاصة القول أنّ هذه الرواية تُذّكر القارئ بالمعاناة التي عاشها الشعب الفلسطيني والتي لا زال يعيشها، فبقراءتنا لهذه الرواية أحسسنا أننا نعيشها وخاصة أنّ الأحداث الأخيرة المؤلمة لأهل غزة تشبه كثيرا ما قرأناه في الرواية من تهجير وقتل وتجويع مارسه اليهود في بداية احتلالهم ومازالوا على نفس المنهج.

[1]– إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، ص 506.

[2]– الرواية، الصفحة نفسها.

خاتمة

خاتمة

عانى الشعب الفلسطيني كثيراً من النكران وسلب الحقوق من قبل العالم بأسره بسبب اليهود الذين نَصَّبوا أنفسهم أسيادا للعالم ، وبمساعدة دول كبيرة ك بريطانيا وأمريكا، ولعلّ هذه الأمور نلمسها أيضا من خلال الإبداع الروائي وخاصة سلسلة الملهاة الفلسطينية للكاتب المبدع إبراهيم نصر الله، وبدراستنا لأعمال هذا الروائي وخاصة روايته**"زمن الخيول البيضاء"**، حاولنا أن نجيب عن بعض التساؤلات ومعرفة كيف صوّر الكاتب هؤلاء اليهود المحتلين لبلده واللذين كانوا سببا في شتاته هو شخصياً، فهو لم يعش في فلسطين ، لكنه كتب عنها.

وانطلاقا مما جاء في الجانبين النظري و التطبيقي توصلنا إلى النتائج التالية :

– صورة اليهود في الرواية تعتبر من أكثر الإشكاليات المثيرة للاهتمام والجدل، فلقد حاول الكاتب أن يوضح لنا شخصية اليهودي المحتل بحديثة عن النكبة ومن تسبب فيها، كما أنه أشار كثيراً للنضال الفلسطيني ومقاومته لهذا الاحتلال لمدة عقود وأجيال متتابعة.

– تعد الديانة اليهودية ديانة إبراهيمية توحيدية قديمة تستند في تعاليمها على التوراة الذي انزل على موسى بحسب معتقدهم أنهم شعب الله المختار، لهذا هم يحاولون السيطرة على العالم.(زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار جعلهم يشعرون بالاستكبار والاستعلاء).

–جسدت رواية زمن الخيول البيضاء لإبراهيم نصر الله صورة اليهودي ذو الوجه الشرير القاتل الظالم، وهذه ليست المرة الوحيدة التي نرى مثل هذا التصوير ففي كل سلسلة(الملهاة الفلسطينية) نجد ذلك.

-بينّ إبراهيم نصر الله في رواية زمن الخيول البيضاء مدى تعاون الانجليز مع اليهود ودعمهم لهم وبأنّهم سلموا أراضي فلسطين لليهود .

-نجد أنّ الكاتب قد جسد في ثنايا روايته صمود الفلسطيني ورغبته في الكفاح واسترجاع أرضه، طيلة سنوات طويلة كافح الشعب الفلسطيني اليهود ومن معهم، كانت معركة خاسرة في اعتقاد البعض، لكن الفلسطيني لا يرى الأمور هكذا وإنما نصره هو مواصلة النضال والكفاح.

-أشار الكاتب إبراهيم نصر الله خيانة حكام العرب لفلسطين وسعيهم للبحث عن مصالحهم الشخصية وفقط لا المصلحة العامة للبلد.

-قسّم الكاتب الرواية إلى ثلاثة كتب، كل كتاب بعنوان و كل عنوان بدلالة حتى أنّ عنوان الرواية ومكان الرواية له دلالات.كرمزية الخيل بالنسبة للمجتمع الفلسطيني، رمزية التراب والأرض ....

-وظّف الكاتب التراث والتقاليد بكثرة وهذا ما يدل على تعلقه ببيئته وحبه لتراث بلد فلسطين.

-تحدث الروائي وبكثرة في الجزء الأول من الرواية عن تعلق أهل الهادية (القرية) الشديد بالخيل والفرس ومدى اهتمامهم و تقديسهم لها، باعتبارها رمزا للأصالة العربية وخير مرافق لأبنائها و بسالتهم في المقاومة والدفاع عن أرضهم.

_لاحظنا أنّ إبراهيم نصر الله كان بارعاً في طرحه للزمن فقد صوّر لنا ما مرّ على فلسطين منذ العهد العثماني مروراً بالاحتلال البريطاني ثمّ النكبة مع أجيال لعائلة واحدة.

_لاحظنا كذلك كثرة المشاهد والحوارات، وهذا ضروري لأهمية الموضوع، ولأنّ الفترة التي تناولها الكاتب فترة طويلة بدءاً من الوجود العثماني في فلسطين، ثمّ الاحتلال البريطاني والنكبة وما بعد النكبة.

–ذكر إبراهيم نصر الله العديد من الأماكن في فلسطين حيث تعرفنا على جغرافيا فلسطين أكثر، والتي كنا نجهلها وهذا أكثر شيء استفدنا منه.

–ذكر إبراهيم نصر الله في مقدمة الرواية انه أمضى أكثر من عشرين عاما ليجمع هذا الكم الهائل من الحقائق مستندا إلى أشخاص عاصروا تلك المرحلة وهذا دليل على رصانة البحث والتوثيق لإغناء أحداث الرواية .

هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها والتي وضحت لنا صورة اليهودي القاتمة والتي ستبقى قاتمة في ذهن كل مناضل حر في العالم .

وفي الأخير نتمنى أن تكون دراستنا هذه بداية لدراسات في المستقبل يتوسع فيها الباحثون أكثر، فرغم ما قيل وما يقال عن اليهود تبقى صورتهم غامضة كغموض تصرفاتهم وأهدافهم، هذا ما يدفع الناس للحذر منهم وعدم الوثوق فيهم، ولعل ما جاء في القرآن الكريم من تحذير الله تعالى للبشر من هؤلاء الناس لخير دليل، ونحن هنا لا نتحدث عن اليهودية كديانة وإنما الصهاينة الذين ذكرهم الكاتب في روايته زمن الخيول البيضاء.

ملاحق

الملحق الأول: التعريف بالكاتب إبراهيم نصر الله :



من مواليد عمان عام 1954 من أبوين فلسطينيين اقتُلعا من أرضهما عام 1948، عاش طفولته وشبابه في مخيم الوحدات للاجئين الفلسطينيين في عمّان، الأردن.

وقد تلقى تعليمه الابتدائي في مدراس وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين في مخيم الوحدات، ثم أكمل دراسته إلى أن حصل على دبلوم تربية وعلم نفس من مركز تدريب عمان.

بعدها غادر للسعودية حيث بدأ حياته العملية معلما في المملكة العربية السعودية، عاد إلى عمّان وعمل في الصحافة، ومؤسسة عبد الحميد شومان، وتفرغ للكتابة عام 2006. نشر حتى الآن 14 ديوانا شعريا و14 رواية من ضمنها مشروعه الروائي الملهاة الفلسطينية المكون من سبع روايات تغطي 250 عاما من تاريخ فلسطين الحديث.

ترجمت له أربع روايات وديوان شعر إلى الإنجليزية، من بينها روايته "زمن الخيول البيضاء" المرشحة في القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام 2009، و"قناديل ملك الجليل" المرشحة في القائمة الطويلة للجائزة عام 2013، ووصلت "زمن الخيول البيضاء" إلى القائمة القصيرة لجائزة ميدل ايست مونيتور في لندن، لأفضل رواية عن فلسطين عام 2014. كما ترجمت له ثلاث كتب إلى الإيطالية ورواية إلى الدنماركية وأخرى للتركية.

نال نصر الله 8 جوائز، من بينها جائزة سلطان العويس المرموقة للشعر العربي عام 1997، واختيرت روايته "براري الحُمّ" من قبل صحيفة الغارديان البريطانية كواحدة من أهم عشر روايات كتبها عرب أو أجانب عن العالم العربي، عام 2012 نال جائزة القدس للثقافة والإبداع التي تمنح لأول مرة تقديرا لأعماله الأدبية. فازت روايته "أرواح كليمنجارو" بجائزة كتارا للرواية العربية عام 2016..

الملحق الثاني: ملخص لرواية زمن الخيول البيضاء :

رواية زمن الخيول البيضاء إحدى روايات سلسلة الملهاة الفلسطينية صدرت عام 2007، تعتبر رواية ذات طابع ملحمي حيث تحدث فيها إبراهيم نصر الله عن وقائع قضية فلسطين مجسدة في قرية عربية أصيلة في فلسطين تدعى الهادية، كما سلط الضوء على فترات زمنية مختلفة لثلاثة أجيال من عائلة واحدة في قرية واحدة .

الهادية هي قرية لا وجود لها على الخريطة الحقيقة، إنما هي اسم وهمي اطلقه على هذه القرية كنموذج للقرية الفلسطينية التي كان يعيش أهلها في سلام وهدوء، قبل فترات الاحتلال الثلاث (العثماني، البريطاني، الصهيوني) ، ويعتبر الخيل احد أبطال الرواية فقد شغلت مساحات واسعة من هذه الرواية حيث كان لها العديد من الدلالات والرموز، فالخيول البيضاء عادة ما ترمز للأصالة، وهي خيول وفية لفارسها لا تتزاوج إلا مع الأحصنة من بنات جنسها الأصيلة، ولا تسمح للغريب أن يقربها، فالكاتب أراد أن يؤكد أن القضية الوطنية الفلسطينية المتمثلة بالإنسان الفلسطيني مرتبطة ارتباطا عضويا مع ارض فلسطين فمن جهة يمكن التخيل أن فلسطين هي الخيل البيضاء النقية و من جهة أخرى يقع عليها الفعل المباشر لسلوك الإنسان، فهو مطالب بالحفاظ على أصالة وعروبة هذه المهرة (فلسطين) عبر عدم السماح لها بالمزاوجة مع غير الأعراب و الأصيل من الخيل . وقد سرد إبراهيم نصر الله في روايته هذه 125 عاما من تاريخ الشعب الفلسطيني منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ، فقد قسم أحداث الرواية إلى ثلاثة أقسام وسماها (الريح، التراب، و البشر)، جسد فيها مأساة شعب كامل عبر عصور الحكم العثماني و الانتداب البريطاني وصولا إلى النكبة ، تطرق فيها صراع الفلاحين مع الزعامات في الأرياف والمدن، وصراعهم مع الأتراك والانجليز واليهود، مشيرا إلى خيانة الحكومات العربية لفلسطين وتسليمهم فلسطين لليهود على طبق من ذهب . وقد كتب في الصفحة الثالثة " لقد خلق الله الحصان من ريح.. والإنسان من تراب.(قول عربي).. والبيوت من البشر" .

فالريح يقصد بها الكاتب ريح انجليزية محتلة تقتلع جذور الخلافة العثمانية الضعيفة من فلسطين، ثم لتعطي الوعد المشئوم لعصابات الصهاينة ليلوثوا بنجاساتهم طهر أراضي فلسطين الحبيبة. أما التراب فدل به على تراب ارض فلسطين الذي احتله الانجليز ثم سلموه

للصهاينة . وأما البشر فيقصد به أهل فلسطين، حيث وصف في هذا الفصل من الرواية ما عاشه الفلسطينيون و ما عانوا منه من قتل و تدمير واعتداء من قبل العصابات اليهودية التي لا تفرق بين البشر و الشجر و الحجر.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.

أولا: المصادر:

1. إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، (الملهاة الفلسطينية) دار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

ثانيا: المراجع:

أ- المعاجم والقواميس:

1- أحمد بن فارس، معجم مقياس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، المجلد3، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1.

2- إبراهيم أنيس وأخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط1، مصر،2007/1423.

3- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1983.

4- إبن نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح التاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، مصر، 2009.

5- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الهيئة العامة للمكاتب، ج1، ط3، 1980.

6- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1986.

7- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سوشبريس، الدار البيضاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.

8- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007.

ب- الكتب:

1- إبراهيم الشبلي، الذات والآخر في الرواية السورية، دار الفضاءات للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2018.

2- السيد عمر، الأنا والأخر من المنظور القرآني، تر، أبو الفضل ونادية محمد مصطفى، دار الفكر، ط1، 2008.

3- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي الأوسط العربي، ط3، بيروت، 1992.

4- جون بول سارفر: الوجود والعدم بحث في الأطولوجيا الظاهرتية، ت: عبد الرحمان بدوي، منشورات دار الأدب، بيروت، ط1، 1986.

5- سيغموند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط4.

6- سيليفيان أنما سانسكي، نقد المركزية حدث آخر، تر: منذر عياشي، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، ط، 2014.

7- شعيب خليفي، هوية العلاقات في العتبات وبناء التداويل، دار الثقافة، المغرب.

8- طائر لبيب، صورة الأخر العربي ناظرا ومنظورا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999.

9- عبد القادر القط، الإتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، ط1، 1988.

10- عبد الوهاب المشيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1999.

11- عفيف عبد الفتاح طيارة، اليهودي في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10.

12- كارل ماكس، حول المسألة اليهودية ، تر: دانلة صالحي، منشورات الجمل، ط1، كولونيا، ألمانيا، 2003.

13- مارتن لوثر، نفاق اليهود، عجاح نويهض، دار الفكر المعاصر، 1974.

14- ممدوح عدوان، تهويد المعرفة، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط2، سوريا 2007.

15- منقذين بن محمود الشقار، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، رابط العلم الأسلامي، ط1، مكة المكرمة 2007.

16-ويليام كارا، اليهود وراء كل جريمة، تر: خير الله طفاح، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1982.

ج-المجلات:

1- طارق زياد محمد، الأخر مفهوما ثقافيا في الدراسات الثقافية، مجلة الباحث، المجلد، العدد 1، 2021.

2- محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية مغايرة، مجلة رسالة المشرق، العدد2، المجلد 34، القاهرة، 2019.

3- نذير وزهرة باريش، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة، رواية الخلان لأمنية الزاوي، مجلة المدونة، المجلد 10، العدد1، 2023.

د-المقالات:

1- أدباء عالميون، ضد الأطماع الإسرائيلية، صحيفة الخليج، 2018.

2- جورج كعدي، دوستوفيسكي والإشكالية السلفية اليهودية، الصفة الثالثة، في الأصول الغويتيمية، 17 سبتمبر 2022.

3- عادل الأسطة، الأدب الفلسطيني حتى عام 1948 (الحب في ظل الحرب)، المرأة اليهودية المحبوبة في نماذج من الأدب الفلسطيني.

هـ- رسائل جامعية :

1- سعد سامي محمد، الأنا والآخر في المعلقات العشر، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة المؤتة، الأردن.

2- عالية زروقي، صورة الآخر في الرواية الجزائرية ، من سنة 1950م إلى 2010م، الأطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، 2017م.

3- نجلاء سبتي وجهينة بابوري، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة" أربعون عاما في إنتظار إيزابيل، السعيد خطيبي أ نموذجا، مذكرة مقدمة لإستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص أدب جزائري، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2022/2021.

و- المواقع الإلكترونية:

1- مروة بلفقاس، غسان الكنفاني الإسرائيلي.. ما حقيقة وجوده الجزيرة نت www.aljazeera.net

2- هند عبد الحميد، الملهاة الفلسطينية، رحلة نصر الله في دروب النكبة العربية، الجزيرة نت www.aljazeera.net

3- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، www.wikipidia.org

فهرس المحتويات

قائمــة المحتويات

شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ–د
مدخل: مفهوم الصورة، مفهوم الأنا والآخر	
أولا: مفهوم الصورة	6
1–لغة	6
2–إصطلاحا	7
ثانيا: الأنا والآخر	8
- مفهوم الأنا	8
1–لغة	8
2– إصطلاحا	9
- مفهوم الآخر	13
1–لغة	13
2–إصطلاحا	15
الفصل الأول (صورة اليهودي في الأدب العربي والغربي)	
المبحث الأول : صورة اليهودي عند العرب	18
المبحث الثاني: صورة اليهودي عند الغرب	30
الفصل الثاني (صورة اليهودي في رواية زمن الخيول البيضاء لإبراهيم نصر الله)	
المبحث الأول: ما قبل النكبة	41
المبحث الثاني: خيانة القيادات العربية لفلسطين	44
المبحث الثالث: أحداث النكبة 1948م	50
خاتمة	64
ملاحق	68
قائمة المصادر والمراجع	72
فهرس المحتويات	77